الصراع بين المهدي والعلماء



عبد الله علي ابراهيم

تقديم : مكي شبيكة

النـاشر

شـعبة ابحـاث السـودان

كلية الآداب ـ جامعة الخرطوم

الكراس رقم (٣)

الطبعة الأولى ١٩٦٨

THE MAHDI-'ULEMA CONFLICT

BY

ABDULLAHI A. IBRAHIM

SUDAN RESEARCH UNIT

UNIVERSITY OF KHARTOUM

•

OCCASIONAL PAPERS No. 3 *JULY, 1968*

رفع وتحميل الكتاب

١٩ شعبان ١٤٤٢ هـ

الأول من أبريل ٢٠٢١ م

مكة المكرمة شرفها الله

الأهداء

الى على ابراهيم على ابراهيم – شِقِتّت – ومرد الاسم الى الشقاوة كونه كان يمسح رجله بالزيت ويعرض للناس فى « درب الترك » فإذا اتسخت بالغبار جعل ليلهم أظلم من سجم الدواك .

الى جمال بت أحمد ودحمد ود إزيرق – ود إزيرق الذى قال عنه الشاعر « آحنك البليد البوم »

الى أبى ... الى أمى

لاننى تلك الشقاوة . ماازال .

و« حنك البليد البوم » ... وسأظل .

تصـــــــدير

هذا بحث مبتكر قام به الأستاذ عبدالله على ابراهيم . وقد وجدت فيه مسلكا علميا وتحليـلا بلغ درجة قصـوى من الاتقان اذ اقتصر الباحثون قبله فى تاريخ المهدية على الناحية السياسـية من سردلتطور الحوادث وصراع المهدية مع الحكم التركى فى السودان ومن ايدوه وعاونوه ولكنهم اهملوا أو اشاروا اشارات عابرة للناحية العقائدية . وخلاف المهـدى جوهرى مع مقلدة العلماء كما كان يشير اليهم فى كتاباته .

ورسالة الامام محمد أحمد المهدى من ناحيتها العقائدية لاتعترف بالمذاهب ، بل انها رفعت فى رأيـه ، وان أئمتـها ـ جزاهم الله خيرا ـ أوصلوا المسلمـين الى زمنه « فهم رجال ونحن رجـال . » ورأى فيما كتبه كثير من العلماء بشروحهم وتقريراتهم حجبا أخفت نور اليقـين المنبعث مـن الكتاب والسنه ولم يستثن منها الا ماكتبه الصـوفية امثال الغزالى والشعرانى وابن عربى . وفوق ذلـك فالعلماء الذين اطلعوا على الأحاديث عن المهدى واوصافه وميقات خروجـه رأوا انها لاتنطبق على محمد احمـد ولذلـك اصدروا الفتاوى فى الرد عليه . كل ذلك فصله وحلله الأستاذ عبد الله وهذا مـاجعل بحثه الاول من نوعه .

مكى شبيكه

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

واجهت الثورة المهدية ـ ككل حركة ترمى الى تغيير جوهرى فى كيان المجتمع ـ أعداء من مختلف المشارب والاصول الاجتماعية وان ارتبطوا بمصلحة مشتركة فى استمرار النظام التركى المصرى القائم • فى الرسائل التى عثرت عليها الادارة التركية المصرية بعد أن ترك المهدى جزيرة أبا نلمس معارضة بعض مشائخ الصوفية الذين كاتبهم المهدى للقيام بأمر الدين • وفى شرق السودان انتصبت طائفة الختمية ، تعوق نشاطات عثمان دقنه ، ولا يصدر عنها ما ينم عن استجابة للرسائل المتكررة التى كان يبعثها المهدى لاقطابها • وبايعاز من عبد القادر باشا ألهم محمد شريف نورالدائم (سمانى) قصيدة فى تكذيب المهدى ، وان لم ينكر عليه زهده وعمق ايمانه • وفى المدن المستسلمة لحصار المهدى نرى أن طوائف من الناس تظل تتشبث بالنظام السائد حتى الرمق الاخير• وازاء زحف الثورة وانتصاراتها ينضم نفر الى صفوفها بعد طول تردد ـ وبقية من ثقة فى مقدرة النظام القائم لردع الثورة ما تلبث أن تتلاشى كما حدث للشيخ محمد الخير فى بربر ، والشيخ العبيد ودبدر فى أمضبان • من مجموع هذه المواقف يهدف مبحثنا هذا الى الامساك بخيط من خيوط تلك الصراعات ـ وهو الصراع الذى نشب بين المهدى والعلماء ـ والى تبيين مواقع كل من طرفى الصراع فى بيئة كانت تنضج لاستقبال اهتزاز عنيف فى مألوف سيرتها .. تستقبل ثورة جذرية السلوك والاهداف •

ويحسن بنا أن نحدد فى هذا المضمار مقصود كلمة (العلماء) .. هل هى ذلك النفر من الرجال الذين تلقوا تأهيلا سنيا فقهيا فى مؤسسة فقهية سنية كالازهر مثلا ؟ أم هى ذلك الرهط من الرجال الذين ارتبطوا بجهاز الدولة فى وظائف الافتاء والقضاء والوعظ والتعليم الدينى مقابل راتب معلوم ؟ أميل فى هذا المبحث الى وصف المجموعة الثانية بكلمة (علماء) ، وإن لم ينج رجل عالم كالشيخ المضوى من شمولنا له فى طائفة العلماء برغم أننا لا نعرف عنه اندغاما فى جهاز

الدولة التركية المصرية ، وان عرفنا عنـه تأهيله الازهرى . ولم ينج كذلك الشيخ ميرغنى ، قاضى دولة تقلى ، ممـا لم ينج منه الشيخ المضوى ، الذى لا نعرف عنه تكوينا أزهريا ، أو ارتباطا بجهاز الدولة التركية المصرية . وقد استفدنا من مثـل ذلك الشمول فى توضيح عنصر الثقافـة والتكوين الفكرى مرة ، وفى توضيـح عنصر (الوظيفـة) مطلقا تارة ثانيـة فى الصراع الذى نجم بين المهدى والعلماء . ولكن ـ وعلى وجه العموم ـ أجد نفسى متمسكا بالمجموعة الثانية لتشملها لفظـة ـ العلماء ـ وهى تلك التى احتواها كنف الدولة التركية المصرية ، وتوحـدت وجودا ومصيرا مع السلطة القائمة .

صراع كهذا الذى نرمى الى تبيان جذوره وحركته وتفسير ما انتهى اليـه يدور ـ كما لا يخفى ـ فى حقل بعيـد عن ميدان التدبير العسكرى ـ المجـال التقليدى الذى ظل العمل التاريخى حول المهدية يتجه اليه فى الغالب والاعم . ومن هنا تنجم الصعوبة الاولى لناشىء مثلى يطرق أبواب مثل ذلك الصراع فى حقلـه البكر . فالصراع بين المهدى والعلمـاء فى السودان حلقة من حلقات صراع ظـل يدور فى الفكر الاسلامى : بين الفكـر التقليدى السنى ، الذى تكلأه ـ بفرقه المختلفة ـ عين الدول الاسلامية المتباينة، وبين فكر غير رسمى ـ شيعى أو صوفى ـ نما بمعزل عن هيكل الدول . ومبحث كهذا الـذى نحن بصدده ينبغى أن يلم بطرف من ذلك حتى يتسنى له أن يربط بين مادته وبين ذلك الصراع الهـائل الابعاد فى الفكر الاسلامى ـ وهذا ما لم يتوفر لنا بصورة مرضية ، فأنفتحت بذلك ثغرة فى المبحث يفضل الباحثون دائما أن يلفتوا اليها النظر آملين أن يتصدى لهـا من يأتى بعدهم . وما أحسبنى فى هـذا الصدد شاذا على مجرى العادة . يتعلق بهذا الصراع أمر آخر هو طبيعة الخلفية الثقافية التى دار فى اطارها ذلك الصراع. ونقصد بالخلفيـة الثقافيـة الخصائص النوعية لذهن ووجدان الجمـهور السـودانى فى البيئـة السودانية ، أى مؤسسات ترعرع فى كنفها .. أى أخيلة وفكر وعاطفة تترسب فى أفئدته . وقـد قطعنا شوطاً أو بعض الشـوط لنكشف معنى انتصار المهدى على العلماء فى حلبة الصراع وقيام دولته على أنقاض دولـة الحكـم التركى المصـرى التى إنتضىء العلماء فكرهم فى سبيـل سيادتهـا واستمرارها .

فى ظل حكم كالحكم التركى المصرى لا شك فى وجود عناصر تركية مصرية فى جهاز العلماء كالمفتى شاكر ، وحسين المهدى ، وخلافهما • بل وإن مثل تلك العناصر كانت النذر الاولى لطائفة العلماء حين وفدت فى أثر الحملة التركية المصرية لفتح السودان . واستفادت منها الادارة التركية المصرية فى أول عهدها حتى يتسنى لها انتخاب فقهاء سودانيين بتأهيل علمى أزهرى لسد احتياجات أجهزة الافتاء والقضاء والوعظ • وقد استمر عدد من تلك العناصر الاجنبية حتى انفجار الثورة المهدية • وبحكم غربتها على ثرى البلاد ومشاعر أهليها وسخطهم كان لتلك العناصر الحق فى معاداة المهدى لانهم جزء من الكيان الاجنبى الذى يسيطر على مقدرات البلاد • لم تثبت هذه الملاحظة فى مجرى مبحثنا كمبرر لجزء من أفراد طائفة العلماء لمناضلة المهدى ، ولم يصرفنا عن ذلك ضآلة فاعليتها ، ولكنه التفصيل الذى كنا نتأى منه من أجل الخطوط العامة •

والمبحث بشكله الراهن لا يستوعب امتداد الصراع بين المهدى والعلماء بعد انتصار الثورة ، ولا رفع المهدى للمذاهب لاحلال مذهبه الخاص عوضا عنها ولا استفادة المهدى من رجل أزهرى كأحمد ود جباره منذ أيام أبا وتعيينه قاضيا للاسلام ولا عن رهط العلماء الذين انحازوا للنجومى وكتبوا المرافعات فى الدفاع عن مهدية محمد أحمد فى منشورات كان النجومى يبثها لأهل الخرطوم • فى المقام الأول كان همنا تقليب ذلك الصراع والثورة فى المخاض والميلاد العنيفين وتجنب تناول مواقف العلماء البعيدين من جهاز طائفة العلماء الا فيما ورد عنهم من موقف فكرى معاد للمهدى كموقف الشيخ المضوى فى توضيح أثر المنابع الثقافية ازاء تصور (المهدى) ومنهاج الكشف الصوفى •

عبد الله على ابراهيم
الخرطوم ١٩٦٦/١/١٢

الفصل الأول

جذور طائفة العلماء

●

صحب الحملة التى سيّرها محمد علي باشا لفتح السودان فى علم ١٨٢١م « ثلاثة من نخبة العلماء وهم القاضي محمد الاسيوطى الحنفى والسيد أحمد البقلى الشافعى والشيخ السلاوى المغربى المالكى ووهب (محمد على) كلا منهم خلعة سنية و١٥ كيسا وأوصاهم أن يحثوا أهل البلاد على الطاعة بلا حرب بحجة أنهم مسلمون وإن الخضوع لجلالة السلطان أمير المؤمنين وخليفة رسول المسلمين واجب دينى »[١] .

لم يكن هذا المسلك ، الذى أراد به الاتراك المصريون تسويغ امتلاكهم للسودان ، وترويض أهله على قبول التبعية لهم دون مقاومة إيذانا بانغماس السودان فى المجرى السنى الفقهى الرئيسى الذى نأى به عنه الانعزال الدينى والوضع الهامشى الذى كان عليه فى عهد الفونج[٢] فحسب وانما كان كذلك يحمل نذر تحول جوهرى فى العلاقة السائدة آنذاك بين الدين والدولة فى حكم الفونج والممالك الاسلامية الأخرى كالفور وتقلى . شهدت تلك الممالك نوعا متميزا من الحياة الدينية جمع الفقهاء فيها بين علم الظاهر والباطن . وقد أفضى ذلك بهم الى تصدر وانخراط فى الطرق الصوفية . ولقد سبق استقرار تلك الحياة الدينية على نحو ما ذكرنا تفاعل هادىء بين إتجاهات التبشير العلمى واتجاهات التصوف الفردى ، والموروث المسيحى والوثنى فى البيئة السودانية . وأثمر هذا جميعا ذلك اللون من الحياة الدينية الذى استحوذ على أفئدة عامة المسلمين وظل بمنأى عن السلطة السياسية على مسافة تؤهله للقيام بمصالح المسلمين إلا فيما استوجبه أمر القضاء والخطابة المحدودين فى دولة تقوم على اللامركزية والاتحاد القبلى الاختيارى أو القسرى . ولعل هذا اللون المتميز من الحياة الدينية

---

(١) نعوم شقير : ٢/٣ ـ ٤

(٢) Hill, R. : p.125

يتجلى فى تسمية الفقيه فقيرا فى القاموس المحلى حيث مزج بين التعليم والتصوف وأضحى الفقيه متصوفا أى فقيرا الى الله فى لغة التصوف وفى وظيفة (الخلوه) فيما هو معمول به حينذاك فلقد كانت مكانا يخلو فيه الفقير للتعبد واليها يفد طلاب القرآن والعلم .[1]

قامت العلاقة بين الفقهاء المتصوفة وملوك الفونج على دعامتين ، إحداهما النفوذ الروحى الذى كان يمارسه المتصوفة على الملوك كما كانوا يمارسونه على الرجل العادى ، والثانية القيام بمصالح المسلمين حيث جعلوا من (مسايدهم) ملاذاً للمقتفى والمرقوب والمريض والمظلوم والحائر ، ومن نفوذهم على أهل السلطان وسيلة لدرء الظلم والحاجة عن المسلمين ، وجعلوا من التفاف المسلمين حولهم ، الناجم عن برهم لهم والقيام بأمرهم ، قوة تضفى على نفوذهم الروحى على أهل السلطان قوة سياسية . كان سلطان الفونج « يعتقد » كما يعتقد الرجل العادى فى صلاح أولياء الله فيهرع اليهم للمشاورة ، كما فعل الشيخ عجيب حين أفضى بعزمه على قتال الفونج الى الشيخ ادريس بن محمد الارباب فنهاه لأن الفونج سيقتلونه ، ويملكون ذريته الى يوم القيامة . وحين طلب بادى مشورة أستاذه الشيخ ادريس فى حرب الشيخ عجيب أقره على ذلك وتنبأ له بالنصر[2] . ولم يجد أهل الملك عبد السلام مناصاً من الوقوع على الشيخ بدوى ولد أبودليق حين تعرض عرش عبد السلام للزوال[3] . وحين واجه ملك آخر من ملوك الفونج نفس المصير يوم خرج عليه العسكر من قرى سنار وأيس ولاذ ببيت أخته وقعت أخته على خليل الرومى ليرداليه عرشه فأشاح عنها قائلا: أخوك الظالم المفسد . ولم يقبل أن يتولى الأمر ما لم يتب الملك على يده فألبسه عمامته بدلا عن تلك التى انتزعها الفونج وضمن له ملك أبيه[4] . وكان اعتقاد ملوك الفونج فى سلطة هؤلاء المتصوفة قاهرا حتى أن الشيخ الهميم اذا دخل سنار فى شفاعة كان يصحبه الشيخ عجيب وما إن يدخل وعرة المندرة حتى يمنع الملك من ضرب النقارة ، ويخلع ثياب الملك ، ويلبس جبة الشيخ تاج الدين البهارى[5] . وكانوا

---

(١) عبد العزيز امين عبد المجيد : ٢٣٢/١
(٢) ضيف الله : ص ١٤
(٣) نفســـه : ص ٤١
(٤) نفســـه : ص ٨٤
(٥) نفســـه : ص ١٥١

يتصرفون ازاء كراماتهم كما يتصرف الرجل العادى فنجد ملكا من ملوك الشايقيه ينبهر حين انجلت الشمس بعد كسوف ، بفعل صلاة قرأ فيها عبد الله الاغبش سورة البقرة وآل عمران جهراً . فيهتف : نعم أهل الغبشه فسار على الشيخ عبد الله اسم الأغبش [1] . وكان الملك ولدناصر يعتقد فى الفقير الدويحى للحد الذى يلبس فيه قيمصه يوم القتال [2] .

وفى القيام بأمر المسلمين كانت الشفاعة للمظلوم وعلى الحيف الواقع على مريديهم تتفاوت عند ذلك النفر من المتصوفة فى عهد الفونج . فعلى طرف من هذا النوع من العلاقة بين المتصوفة والسلطان يقف رجال من أمثال الشيخ ادريس بن محمد الأرباب ، الذى أزمع بادى أبورباط على أن يقتسم معه داره مناصفة من العسل الى البصل ، فامتنع لأن تلك الدار أغتصبت من النوبة ، واستبدل هذه المكرمة بأن يعطى الشفاعة . وقد دخل الشيخ سنار احدى وسبعين مرة فى مصالح المسلمين [3] . ويقف على الطرف النقيض رجال كالشيخ خوجلى ، الذى من « أخلاقه أن لا يكاتب السلطنة ولا يرسل اليهم مع كونه كثير الشفاعة والجاه واذا طلب أحد منه القيام الى السلطان ليشفع له عنده يقول له لا أرسل معك تلامذتى ولا أولادى استودعتك الله وخد هذا الطين وان صبرت الى أن يأتينى هذا الظالم أو أحد أعوانه أوصيه ليشفع لك عنده بأمرى ولا يقوم الى ظالم فى شفاعة [4] » ورجال أيضاً ك (أبوادريس) الذى لم يقف عمره على باب شفاعة ، والذى لم يلب دعوة الشيخ عجيب بالحضور اليه ، وحين نظر وتلامذته (ركب الشيخ عجيب على قارعة الطريق تنزل وقعد مستخفيا فى ظل شجرة وغطوه بمقطف وقال ان سألوكم قولوا لهم فقير محموم [5]) . وقد نرد هذا التباين فى السلوك تجاه الشفاعة الى تباين فى مذاهب التصوف ومناهج الزهد .

---

(١) ضيف االله : ص ١٢٨
(٢) الشاطر البصيلى (١٩٦١) : ص ٥٢
(٣) ضيف الله : ص ١٣
(٤) نفسه : ص ٧٦
(٥) نفسه : ص ١٥

ولن يتأتى لنا اثبات ما ذهب اليه عبدالمجيد عابدين من أن الانصراف عن السلاطين والشفاعة عندهم ناجم من التدهور الذى أصاب مملكة الفونج ، من انحدار للمفاسد ـ التى لم تكن ترضي الصفوة من العلماء ، أمثال الشيخ خوجلي ـ وقد عبرت عن هذا الترفع من الاختلاط بملوك الفونج قصيدة الشيخ فرح ود تكتوك « يا واقفا عند أبواب السلاطين » والتى شك احسان عباس فى نسبتها الى الشيخ فرح ولكنها فى نظر احسان تعبير عن الروح السائد [1] ... لن يتأتى لنا اثبات هذا التفسير الا بتحقيق منضبط لطبقات ود ضيف الله.

تحت ظل نظام كالحكم التركى ـ بدوافعه الاقتصاديه والاستراتيجية الواضحة من فتح السودان ، وما استوجبه ذلك من ادارة مركزية محكمة تمكن له من تنفيذ أغراضه ومقاصده ـ كان طبيعيا أن تتعرض العلاقة السائدة بين الدين والدولة فى عصر الفونج الى هزة وخلل ، والى نشوء علاقة جديدة تتلاءم وطبيعة أهداف الحكم القائم .مع حملة الفتح اتخذ الاتراك المصريون الدين وسيلة لتسويغ حكمهم ولاضعاف صوت وقوة المقاومة المتوقعة . وشرعت الدولة الجديدة فى تشييد نظام مركزى متشعب دقيق للقضاء والافتاء على نحو لم يألفه السودان من قبل استوعبت فيه عددا من الفقهاء المحليين . أنشأت الادارة التركية المصرية المحاكم الشرعية مقسمة الى محكمة عليا ومحاكم مديريات ومحاكم محافظات ومحاكم أقسام وأنشأت مجلس استئناف السودان الذى يتألف من عدة قضاة برئاسة قاضي عموم السودان . ولهذا المجلس مفتيه ويسمى مفتى مجلس استئناف السودان . وكان شاكر بن الرئيس المفتى الأخير للمحكمة [2] . وفى عام ١٨٥٠م تأسست المجالس المحلية واختارت لها الحكومة عدداً من عمد وأعيان وتجار البلاد .... وقد جعلت الحكومة فى الخرطوم المجلس الاعلى للاستئناف يتولى فيه كبار التجار والاعيان النظر بطريق الاستئناف فى الاحكام الصادرة من المجالس المتقدمة ... وجعلت الحكومة مفتيا خاصا للمجلس المذكور .... كما جعلت الحكومة أيضا مفتيا لمجلس كل مديرية من مديريات السودان عند الحاجة لمعرفة النص الشرعى [3] .وكان قاضي عموم السودان يختار القضاة ويعينهم حكمدار

---

(١) عبد المجيد عابدين : ص ٩١ ـ ٩٢

(٢) حسين سيد احمد المفتى : ص ٨٤

(٣) نفسه : ص ١١٢ ـ ١١٣

عموم السودان . أما قاضى عموم السودان فيتم تعيينه بأمر الخديوى[1]. وقد تكفلت الحكومة التركية فى السودان برواتب معلومة للقضاة تتراوح بين الخمسمائة والألف قرش للقاضى شهريا مع اعفائه من العوائد والضرائب وغير ذلك[2] . كان هذا النظام المركزى الدقيق اللصيق بارادة الدولة جديدا على مألوف القضاء فى دولة الفونج . فقد عرفت دولة الفونج المحكمة العليا فى عاصمتها سنار والمحاكم الصغرى فى عواصم المشائخ والملوك الآخرين المرتبطين بها . وعرفت هذه المحاكم الاستئناف يرد اليها من محاكم علماء الشريعة البيضاء فى القرى والبوادى وعرفت قضاء الأجاويد ولكنها لم تنشىء منصب الافتاء ، ومن شاء أن يستفتى فرجوعه الى علماء البلاد ، ولم تدفع رواتب معلومة للقضاة ، وانما وهبتهم من بيت المال ما يسد حاجتهم حتى لا يمد القاضى يده الى أموال الناس[3] .

جرد هذا التكوين المركزى للقضاء والافتاء ، الذى ربط رهطا كبيرا من الفقهاء والعلماء بجهاز الدولة ، العلاقة بين الدين والدولة التى سادت فترة الفونج من مضمونها القائم على اعتقاد الملوك فى صلاح رجال الدين والهيبة التى تكنها الدولة لهم لكراماتهم وعزوفهم عن السلطة واستقلالهم النسبى عنها وزهدهم فى الانغماس فيها وأنهت النفوذ الروحى الذى مهد لرجال الدين من المتصوفة والقضاة أن يكونوا لسان الرأى لجمهور المسلمين وأن يضطلعوا بمهمة القيام بمشكلاتهم بالشفاعة ودرء مظالم السلطان . ففى محاولات هذه الادارة الجديدة لبسط سلطانها لم يحل دون مراميها وازع أو اعتقاد ، فقتلت الفقيه السيد ولد زين العابدين حينما كانت تطارد حسن ود رجب[4] . وقتلت الفقيه محمد ولد عبد العليم خليفة ولد عبود وضربت حلته ونهبتها . وحين لاذ نفر من أهل المتمة بخلوة الفقيه أحمد الريح أمر الدفتردار باحراقهم[5] وحين طارد الدفتردار المنهزمين من معركة النصوب أمسك فى طريقه بالفقيه ابراهيم ود عيسى ، وأخذه

---

(١) المفتى : ص ٧٦
(٢) نفسه : ص ٧٩
(٣) نفسه : ص ١٧ - ١٨ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣
(٤) مكى شبيكه (١٩٤٧) : ص ٢٢
(٥) نفسه : ص ٢٤

الى جهة أبى حراز وحبسه مدة ، ثم أطلقه ، وانتهى من بعد ذلك الى مكدور بين الدندر والرهد فقتل الشيخ صالح من أولاد بان النقا ونهبت أموالهم وتشتت كتب الشيخ حسن [1] .

قامت العلاقة الجديدة بين العلماء الذين انخرطوا فى جهاز الدولة وبين الدولة على أساس حصرهم فى مجال عمل واحد هو القضاء والافتاء ، ومن ثم دفع المكافآت المحددة لهم . وحدث نتيجة ذلك انقسام فى الحياة الدينية لصيق بنظام الحكم العثمانى فى أرجاء الامبراطورية التى كان يبسط نفوذه عليها بين طائفة العلماء : القضاة والمفتيين والمعلمين التى تشكل جزءا من نظم الحكم وبين طائفة الصوفيين غير الرسمية ذات النفوذ [2] ... حدث هذا الانقسام على نحو لم تشهده مملكة الفونج . وادخرت الادارة التركية هذه الفئة من العلماء التى استوعبتها فى جهاز الدولة وأطلقت قواها كاملة من عقالها فى الصراع الذى نشب بينها وبين المهدى على نحو ما سنرى .

سارت الادارة المصرية التركية فى بداية استقرارها فى سياسة التقرب والتودد الى رجال الدين فى السودان ـ العلماء منهم والمتصوفة ـ فى حين كانت تنشىء نظامها الرسمى للقضاء والافتاء النابع من احتياجات تدعيم وتركيز سلطتها . وقد ورثت فى هذا الصدد تقليدا قديما من الممالك الاسلامية السودانية . كانت تلك الممالك تقطع رجال الدين الارض أو تعفيهم من خراجها . ففى دولة الفونج احتفظ (الزعيم بمساحة من الارض لاستغلالها لمصلحته الخاصة ، وعرفت هذه باسم « العمارة » وكان الزعيم أو السلطان السنارى فيما بعد يتصرف فى جزء من أرض العمارة عن طريق الهبة خاصة للفقهاء الروحيين . وصارت هذه الهبات نواة للملكيات التى سمح للفقهاء وورائهم بالاحتفاظ بها واستغلالها لمصلحتهم [3]) . وتصدق الشيخ عجيب ولد العجيل بأرض كانت للفقيه ود أم مريوم وأعفاه من نصف الخراج الذى كان مفروضا عليها [4] . وكان سلاطين الفور

---

(١) مكى شبيكه : ص ٢٥
(٢) Holt, P. M. (1963) : p. 30
(٣) الشاطر البصيلى (١٩٥٥) : ص ٦٤
(٤) ضيف الله : ص ٦٧

يكرمون القضاة ويمهرونهم الحـواكيروالعربان بحجج مختومة للانتفاع بريعها وأهلها فى الزراعة ـ والحاكورة عبارة عن قرية أو بلدة يهبها السلطان لمن يشاء فيدفع سكان القرية أو البلدة ، الذين غالبـــاما يكونون من أهل القاضى المعين، الزكاة والعشور والفطرة وسائر الاموال الاميرية للموهوب له للانتفاع بها ، وهى بمثـابة صدقة لاعاشته ومساعدة مسجده [1]. وفى تقلى يهب الملك للفقيه جاها يمنع رجـال المملكة أن يلحقـوا به أذى أو أن تمس أرضه بمطالب العشور وغيرها [2] .واصلت الادارة التركية المصرية هذا التقليـــدوامتدت به الى الاراضى التى دخلت فى نطاق نفوذها مؤخرا مثل دارفور ، فقـدكتب حكمدار السودان للمعية السنيـة يلتمس ترك الحلات الخمس للفقيه سراج الدين بن يعقـوب امام مسجد قـــرية أم شنقة كما كانت بلا خراج على عهـــد سلاطين الفور من ذلك [3] . وكانت السنة منذ عهد محمد على أن تدفع مرتبـــات شهرية لمن يقوم بتدريس القرآن والعلم ويتسلمها من بعده ورثته حتى لو انقطعوا عن التدريس . وجاء سعيد باشا ليقــرر ألا تصرف تلك المرتبات الا لمن ثبت فعلا أنه يقوم بالتدريس من الورثة. وأصبحت القاعدة اعفاء القضاة والفقهاء والشيوخ الذين بيدهم وثيقـة تثبت أن أراضيهم معفاة من الضرائب لمزاولة مهنة التدريس أو القضاء أو الامامة [4] . وأخذت الادارة التركية تتلقى الشكاوى من القضـــاة ومعلمى الـدين ومن المتصوفـة مطالبة بعمارة المساجد واعادة ترميمها وتوسيـع الزوايا وتجديد بنائها وزيادة المرتبات . وكان الخديوى فى مصر حين يتلقى هـذه الشكاوى ـ وهو العامل على استقـرار البلاد وعلى كسب هذه الفئة ذات النفوذ الاجتماعى ، وفى اطار مفهومه لرسالتـه التمدينية فى السودان ـ يطلب من الادارة التركية المصرية فى السودان أن تجـاب مطالبهم . ونجد أن نظاما كالأوقاف تمنح للمساجد والخـلاوى ونظام الجـــراية يجدان على البلاد . ولـكن لم يغب عن ذهن الادارة التركية تدعيم الجانب الفقهى التعليمى لخدمة الجهاز الفقهى التشريعى المتكامل المرتبط بدولاب الدولة المركزى الآخذ فى النمو من حيث اتساعه وتزويده برجال مستنيرين فى هذا الصدد ، ومـن

(١) المفتى : ص ٥٢

(٢) معلومات جمعتها جمعية التاريخ بجامعة الخرطوم فى رحلة لمنطقة تقلى .

(٣) عبد العزيز عبد المجيد : ١٩٠/٣

(٤) نفســه : ٤٠/٢

حيث كسب هذه الفئة نهائيا الى جانب الادارة التركية المصرية حين تنطبق مصالحها مع مصلحة الدولة القائمة .فحين زار محمد على السودان فى سنة ١٨٣٨ ـ ٣٩ م اجتمع بالقضاة والمفتيين والعلماء وأنعم على كبارهم وصغارهم الخلع الفاخرة[١] . وتم فى عهد محمد على انشاء رواق السنارية فى الازهر نتيجة الاقبال المتزايد من السودانيين على التعليم فى الازهر . وفى عهد عباس لقى اثنان من العائدين من الازهر ترحيبا واهتماما حيث كتب الباشا الكتخدا الى حكمدار السودان ليحسن مقابلتهما .وقد أذن الحكمدار لهما ببناء مسجد فى بلدتهما [٢] . وفى عهد عباس تعلم فقهاء الخرطوم الذين كانوا مع رفاعة رافع الطهطاوى تجويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا ماهرين فى ذلك [٣].

وفى فترة حكمدارية جعفر باشا (١٨٦٥ ـ ١٨٧١م) تتضح صورة التركيز على الجانب الفقهى التعليمى ، والنهوض به لسيادة الحياة الدينية ، وتوفير الامكانيات له ، والضغط من الجانب الآخر على المؤسسات التعليمية الصوفية. ووضع القيود عليها بحجة جهلها وعقم نوع التعليم الذى تقدمه حيث لا تؤهل خريجيها للانخراط فى سلك الدولة وبحجة انصرافها فوق هذا جميعا عن مباشرة التعليم . فحين ذهب جعفر باشا الى مصر فى أبريل ١٨٦٧م صحب معه اثنين من أبناء مديرية كسلا الى الأزهر وسلمهما للشيخ مصطفى العروسى ـ شيخ الازهر ـ وأوصاه بالاهتمام بهما ، وأن يوفر لهما وسائل الراحة حتى لا ينفرا ، وأن يخصص لهما مرتبا يوميا قدره قرشان لوضع نواة لعلماء وفقهاء وقضاة وأئمة ومفتيين من السودانيين لان العلماء الذين يرسلون من مصر الى السودان قليلو العدد ولم يقع منهم النفع المرجو [٤] .

وفى الخطاب الذى بعثه جعفر باشا الى صاحب السعادة مهر دار الحضرة الخديوية بتاريخ ١٠ جمادى الاول ١٢٨٦ يكشف جعفر باشا عن أسس هذا النهج الجديد فى تدعيم الكيان الفقهى التعليمى فى اتجاه ارتباطه بجهاز الدولة ، فيقول

---

(١) عبد العزيز عبد المجيد : ١٥/٢
(٢) نفسه : ٢٤/٢
(٣) نفسه : ٣٧/٢
(٤) نفسه : ٦١/٢ ـ ٦٢

بافتقار السودان الى السلك الـديني والتقدم الفقهي • فانعدم تبعا لذلك وجود طلبة علم يليقون لوظائف القضاة والنيابة والامامة والعسر الكامن فى جذب مثل هذه الفئة من مصر لقلة المرتبات • ويرى ازاء ذلك ـ (تحويل البصر الى الطريق الدينى • وقد كان المتبع فى العهد القديم صرف مرتبات ومؤونة الى بعض الجهلة من الفقهاء فى سبيل التقدم العلمى • وكانت تصرف اليهم شهريا • ونظرا لان أكثر أصحاب المرتبات جهلاء فانهم استحقوا تلك المرتبات بالشهادات الكاذبة • واغتالوا المرتبات المنصرفة اليهم والى طلبتهم بدون وجه حق[1]) • ويقول بأن طلبتهم يتركون المكتب قبل قراءة جزءعم وتستوعبهم الحياة العملية • ويطلب من الحضرة الخديوية أن تسمح له بالتفتيش على أعمالهم وفحص مؤهلاتهم وأن يقطع مرتبات من لا علم له وهو يخشى أن يزعجوا الخديوى من بعد ذلك بالشكوى • ويقترح انتخاب مدرس بعد الامتحان لكل من بربر ودنقله والخرطوم وسنار والتاكه وكردفان وفاشودة ،واجراء علاوة على الراتب القديم لهم ، وربط الجراية لهم ، وتحديد عدد الطلبة للمعلم ، وأن يعفى الطلبة من دفع الضرائب والاموال والمطلوبات الاميرية الاخرى اذا ما تركوا امتهان حرفتى التجارة والزراعة • ويقترح أيضا ايجاد منصب شيخ العلماء من العلماء المبرزين فى الخرطوم بعد امتحانه ليشرف على الجميع وأن يربط له مرتبا قدره ٥٠٠ قرش شهريا و ٣ أرادب من الذرة وكذلك ايجاد منصب لشيخ الفقهاء من الفقهاء المتقدمين بمرتب قدره ٣٠٠ قرش شهريا وأردبين من الذرة •

ألحق التنفيذ الجزئى لهذا النهج الجديد أضرارا بفئة « الفقراء » التى طمعت من قبل فى العون المادى وتكالبت عليه فغمرت الخديوى بظلاماتها ، فكان يحول ذلك الى جعفر باشا ـ الذى كان قد اتخذ موقفا واضحا منهم ، ومن مسألة تعيشهم على أموال الحكومة ، والكسل الذى ران على حياتهم ، وانصرافهم عن الزراعة ، وجدوى هذا المال الميرى أن يصرف على زيادة المصاريف الضرورية للمستخدمين والعساكر[2] • وازاء كثرة الظلامات والرجاءات انتهى رأى الخديوى

---

(١) عبد العزيز عبد المجيد : ٦٢/٢ ـ ٦٣
(٢) نفسه : ٧٠/٢

الى رفع الأموال الحكومية عن الاراضى التى يزرعها ذلك النفر من الفقـراء [1] .
(ويظهر أن ممتاز باشا لما خلف جعفر باشامظهر ســار على رأيه من حـرمان من لم تثبت أهليته من الشيوخ والفقهاء للحصول على المرتبات والمربوطات ... فلما جـاء اسماعيل باشا سار على نهج سلفه الا أنه رأى أن من المحرومين من لا يستطيـــع العمل فى الأرض وذلك كالشيخ الأمـين محمد الضرير رئيس العلماء ومميز الطائفة العلمية والفقهية والشيخ محمد أحمـــد رئيس ومميز الوظائف القرآنية والحفاظ، والشيخ محمد النقيب واعظ ومـدرس للاهالى بجامع الخرطوم فقرر لهــؤلاء استمرار مرتبهم [2]) وامتدت روح التنظيم وربط المؤسسات الدينيـة بالسلطـة السياسية أيضا المؤسسات الصوفية فبعد الاعتراف بها بواسطة محمد على باشا الذى جعل سلطة الشيخ البـكرى القيم على طوائف مصر الصـوفية تتمدد لتشرف على الطرق الصوفية فى السودان كمركز لها ولكنه كان ضئيل النفوذ على طرق الســودان لان الولاء الصــوفى السودانى كان على أســاس شخصى بين المريد وشيخ الطريقة [3] .

كانت الاجراءات التى اتخذها جعفر باشا مظهر ومن بعده ممتاز باشا واسماعيل باشا بلورة للاتجاه الاساسى الذى اضطلع به العلماء الذين صحبوا حملة الفتـــح التركى المصرى من حيث نشوء فئة مــن العلماء ارتبط مصيرها بمصير السلطـــة السياسية القائمة وظل يغذيها طلاب العلم من السودانيين فى الازهر بتعليمه الفقهى السنى لملء وظائف الدولة التى أصبحت أكثر جزاء وأدعى الى الانخراط فيها من ناحية الوضع الاجتماعى المرموق الــذى تكفله لمن يملأها . وأخذت الادارة التركية المصرية تكلأ هذه الفئة بالرعاية ، وتجزل لها العطاء على حساب المؤسسات التربوية والتعليمية القديمة ، التى تكالبت فى مطلع الفتــح على عطايا الـدولة الجـديدة ، وشجعتها الاستجابات السخية التى كانت تلاقى بها مطالبها . ولكن وباستقـــرار النظام الجديد وحين قطع شوطا فى تثبيت دعائم أجهزته المركزية وحين أضحى يواجه أزمة فى منصرفات السودان قلب لها ظهر المجن ، ونزع عنهــا كثرة من الامتيازات

(١) عبد العزيز عبد المجيد : ٦٥/٢
(٢) نفســه : ٦٧/٢
(٣) Trimingham, J .S . : pp. 200 - 1

على حين أخـذت حيـاة تلك المؤسسات التقليـدية فى الانحلال بفعل الاغـــراء والترغيب والتودد الذى شملها ، ضمـــنما شمل ، حين كان الحكم التركى المصرى يسعى الى تأمين وجوده . وبنشوء هـذه الطبقة من العلماء والمفتيين والقضـــاة والمعلمين فى جهاز الدولة أخذت العلاقـة التقليدية بين الدين والدولة على عهــد الفونج ، القائمة على نفوذ رجال الـدين الروحى على سلوك الدولة ، فى التلاشى والاضمحلال ، وحلت محلها علاقة وحدة مصير ووجود بين طائفة العلماء والدولة حيث اندغمت تلك الطائفـة اندغاما تاما ومجزيا فى كيـان الـدولة ، ولم تحتفظ بالمسافة التى احتفظ بها الفقيه على عهد الفونج ليؤهل نفسه ليكون ممثل الرأى العام لجمهور المريدين شفيعا ووقيعـا .وأن يردع بزهده فى المشاركة فى الحـكم وبتمثيله الاصيل لجمهور المسلمين القائم على الاعتقاد ... ليردع بذلك السلطـة السياسية التى كانت تهابه وتجـله ، بل وتعتقد فى كراماته الخارقة، ويده اللاحقة، والعطب الذى يصيب من يرد له كلمة .

الفصل الثاني

العلماء والنشاط المعادى للثـورة المهـدية

●

كان طبيعيا والنظام التركى تتهدده ثورة كثورة المهـدى أن تنشط أجهزتـه المختلفة لردع الثورة واستئصالها من قبل أن يصبح أثرا من بعد عين • وكان طبيعيا أن يناط بفئة العلماء والمفتيين والقضـاةالتى تطورت فى ارتباط وثيق وعضوى مع جهاز الدولة التركية المصرية منذ بعثـــةالعلماء التى صحبت الغزو التركى المصرى حتى تبلورها الواضحالمتميز فى عهد جعفرباشا مظهر علىحساب المؤسسات الصوفية التقليدية الموروثة من عهد الفونج ••••كان طبيعيا أن يناط بهذه الفئة ازاء ثورة تتشح بوشـاح الدين واجبات فى غايـةالأهمية فى حـرب الدعايـة وفى محاصرة دعوة المهدية فكريا بهدف عزلها وتجريدهامن استجابة الجمهور المسلم الذى تضرب الثورة الناشـبة وترا حساسـا فيه • وفىهذا ينسجم الاجراء الذى اتخذه رؤوف باشا ـ حين بلغ مسامعه نشاط المهـدىالدعائى ـ يوم بعث بنفر من العلماء الى المهدى فى أبـا لمناقشته ورده عن الطريقبالحجة والمنطق ، ويوم عقد مجلسا مـن علماء الخرطوم يعرض عليهم مكاتبـاتمحمد أحمد ومنشوراته ليستأنس برأيهم (فالتمس له بعضهم عذرا فى أنه قد حصلله جذب سماوى من انعكافه على الزهـد والعبادة ولكنهم حكموا جميعا بوجـوبالقبض عليه وتلافى الأمـر قبل اتسـاع الخرق[1]) فتحرك رؤوف وأرسل بعثـةمحمد بك أبى السعود الى أبا •

وفى عهد عبد القادر باشا (مايو ـ ديسمبر ١٨٨٢) تركز النشاط الدعائى والفكرى لطائفة العلماء مواكبا النشاطالعسكرى الذى اضطلع به عبد القـادر باشا لاخماد لهيب الثورة بالجزيرة • وقدسبقت ذلك النشاط من جانب العلمـاء فى السودان تعبئة فكرية على نطاق العالمالاسلامى من القسطنطينية والقاهرة لدرء خطر وانتشار فكرة الثـورة المهـدية فىأوساط المجموعة الاسلامية ، فأصـدر السلطان عبدالحميد ـ بوصفه خليفـةللمسلمين ـ منشورا يكذب فيه دعـوى

---

(١) شقـير : ١٢٨/٢

محمد أحمد المهدى ليوزع فى كافة الاقطار الاسلامية وأفتى علماء الازهر بتكذيب محمد أحمد المهدى أيضا . وبمجيء عبد القادر باشا الى الخرطوم حكمدارا على السودان أوعز الى العلماء بتأليف الرسائل تكذيبا لدعوة محمد أحمد ، ودحضا لحججه ، وايضاحا للخطل فيها .وقد طبعت تلك الرسائل بمطبعة الحجر بالخرطوم ، ووزعت فى أنحاء البلاد .وأشهر هذه الرسائل : رسالة السيد أحمد الأزهرى بن الشيخ اسماعيل الولى الكردفانى ، شيخ الاسلام فى عموم غرب السودان : المسماة « بالنصيحة العامة لأهل الاسلام عن الخروج عن طاعة الامام » ورسالة الشيخ الامين الضرير ،شيخ الاسلام فى عموم شرق السودان ، المسماة : « هدى المستهدى الى بيان المهدى والمتمهدى » ، ورسالة المفتى شاكر ، مفتى مجلس استئناف السودان[1].

وقد استفاد غردون من طائفة العلماء فى التعبئة والاستعدادات الحربية التى كان يقوم بها فى الخرطوم ، وفى رفع معنويات الأهالى . وقد استجابت تلك الطائفة لغردون ما وسعها ذلك . فحين رد المهدى على رسالة غردون التى بعثها من بربر مصحوبة بالكسوة والتعيين حاكما على كردفان برسالة يطلب منه فيها الدخول فى دين الاسلام مع زى الدراويش هدية، جمع غردون علماء الخرطوم وطلب منهم نصحا شرعيا يفند دعوى محمد أحمد المهدى ليبعثه مع رسل المهدى [2] . وتبنى غردون وجهة نظر العلماء فى مبدأ المهدية التى انتضى الدعوة اليها محمد أحمد المهدى ، فخاطب الزعماء المهدويين الذين يحاصرون الخرطوم حين طلبوا منه التسليم له بمنطق أولئك العلماء قائلا :« اعلموا أن محمد أحمد الذى اتبعتموه ليس المهدى المنتظر على ما أثبتته النصوص الشرعية » [3] . وظلت طائفة العلماء تقدم العون والتسهيل لمشروعات غردون الحربية ، وتبث الثقة فى الاهالى . وقد مكث غردون ينتظر ارتفاع النيل ليستخدم الوابورات لرفع الحصار عن الخرطوم ، وليتمكن الانجليز من نجدته ، فحل فى هذا الوقت شهر رمضان مع ارتفاع النيل، فلجأ غردون الى العلماء ليبيحوا الفطر والحرب فى رمضان ، ففعلوا بفتوى منهم استنادا على ان النبى (صلعم) فتح مكة فى شهر رمضان . فنشر غردون هذه

---

(١) شقير ٣ : تمتد رسالة المفتى شاكر الغزى عبر ص ٣٧٥ - ٢٨٢ ورسالة السيد احمد الازهرى من ص ٢٨٣ - ٢٩١
(٢) نفسه : ٢٣١/٢
(٣) نفسه : ٢٢٥/٢

الفتوى فى جميع المراكز العسكرية[1] .وبهدف رفع معنويات أهالى الخرطوم الذين طوقهم الأنصار وزع غردون ثمن ثمر جنائن الخرطوم الاميرية على الفقهاء والفقراء وحملة القرآن ، وطلب منهم قراءة كتاب البخارى فى المساجد والتوسل الى الله بصالح الدعاء لرفع الحصار وقطع دابر العصاة[2] . واستعان غردون بالعلماء للمرة الثانية فى اصدار الفتاوى لدحض الدعوى المهدية حين بدأ النجومى نشاطه الدعائى الموجه الى أهل الخرطوم بواسطة عدد من العلماء الذين انحازوا الى المهدية لتبين صحة دعوى محمد أحمد للمهدية وانطباق صفاته مع ما جاء فى الكتب من صفات المهدى . اجتمع غردون بعلماء الخرطوم لتفنيد كتاب النجومى بندا بندا وصدرت تلك الفتوى بتاريخ ٢٣ ذى القعدة ١٣٠١هـ ــ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤م ووقع عليها كل من الشيخ الامين محمد ، رئيس ومميز علماء السودان ، وشاكر افندى ، مفتى استئناف السودان .والشيخ حسين المجدى ، مدرس العلم بالجامع ، ومحمد خوجلى ، قاضى عموم السودان ، وموسى محمد ، مفتى مجلس السودان[3] .

ولم يقتصر هذا المسلك العدائى من طائفة العلماء تجاه المهدى على ذلك الرهط الذى ارتبط عضويا بجهاز الدولة فى الحكم التركى المصرى ولكن نشهد مثل هذا المسلك فى المرحلة الاولى للمهدية ،وحين كان المهدى يبحث عن مركز مؤمن يلوذ اليه وقت الحاجة فى جبال النوبة .امتد هذا المسلك الى طائفة من العلماء ارتبطت بمملكة تقلى فى جبال النوبة .وكانت تلك المملكة قد احتفظت بمقوماتها الذاتية فى ظل الادارة التركية المصرية مع نزوع للاستقلال التام يراودها ما يزال . فحين اتصل المهدى بالملك آدم فى تقلى لينحاز للثورة المهدية ، اشترط الملك آدم أن لا يخاطر بنفسه فى جهاد مفتوح وتعهد أن لا يعترض نشاط المهدى ، على أن يعده المهدى بألا يمس استقلال تقلى حين يظفر بالنصر . لم يرض العلماء فى تقلى بهذه المعاهدة بين الملك آدم والمهدى ــ وكان يقود معارضتهم القاضى ميرغنى ، فالمهدى فى نظرهم نبى زائف واقترحوا على الملك آدم أن يقتله فورا وأن يهدر دمه وأنه واجب دينى أن يستأصل مثل ذلك الرجل . ولكن الملك آدم لم يستمع

---

(١) شقير : ٢٤٨/٣
(٢) نفسه : ٢٤٦/٣ ــ ٢٤٧
(٣) نفسه : ٢٥٦/٣

الى مشورة علمائه وأرسل ابنه عمر مع المهدى . وحين أشعل المهدى الثورة وطلب التأييد والسند من الملك آدم رفض الملك آدم بقوة حسب نصح علمائه . وحين تم فتح الابيض احتدت لهجة المهدى فى طلب الملك آدم لزيارته . ونصحه العلماء بالرفض ولكن دون جدوى .وذهب الملك آدم بصحبة القاضى ميرغنى الذى لم يكف طالبا منه العودة . وحين واجه القاضى ميرغنى المهدى لم يخش من أن يقول ببطلان دعوته فى وجهه فسيق بعيدا لاعدامه[1] .

كانت طائفة العلماء وهى تضطلع بالدفاع عن النظام التركى المصرى القائم تعبر عن وحدة المصير بينها وبين ذلك النظام : كطائفة استحدثها لتسويغ حكمه بادىء ذى بدء وادخرها للايام العصيبة السوداء التى قد تنجم . وازاء ثورة المهدى انطلقت قوى تلك الطائفة من عقالها لتأمين النظام القائم ، وللذود عنه فى مجال الفكر والوجدان . كما انطلقت أجهزة الدولة الادارية والعسكرية للذود عنه فى ميدان التدبير الحربى . ولكن وباستقراء موضوعى للواقع الاجتماعى للبلاد السودانية وللواقع الفكرى والوجدانى نرى أنه كان مقضيا على جهود تلك الطائفة بالفشل والاخفاق فى صد تيار الثورة وأن ينتهى بها الامر الى ما آل اليه مجموع النظام التركى المصرى من سوء خاتمة .

فى معرض البحث عن أسباب الثورة المهدية أثار هولت سؤالا استوجب اعادة النظر فى التناول التقليدى لتلك الاسباب منذ نعوم شقير والتى تتلخص فى المآسى التى أعقبت حملات الدفتردار الانتقامية لمقتل اسماعيل باشا فى شندى ، وفداحة الضرائب والفظاظة التى تصحب جمعها مما اضطر الاهالى للهجرة لاطراف البلاد ، والجهود التى بذلت لقمع تجارة الرقيق مما أوجد فئة من تجار الرقيق الساخطين وما صحب تلك الجهود من انهيار فى أساس اقتصادى من اقتصاديات البلاد ، والحظوة التى كان يلقاها الختمية والشايقية من ذلك النظام على حساب المجموعات الأخرى[2] . كل هذه الاسباب يمكن تلخيصها فى القهر وسوء الادارة .

---

(1) Elles , R. J. : pp. 24 - 25

وفى رواية محلية أن المهدى فى زيارته الثانية لتقلى ناظره مجلس من علماء تقلى وهم القاضى ميرغنى والعالم طه والشيخ دفع الله ود بقوى ولم يعترفوا له بالمهدية .

(2) شقير : ١٠٩/٣ ـ ١١٢

ويبدأ سؤال هولت من هنا فهو يرى أن ممارسة القهر وسوء الادارة ظل لصيقا بالادارة المصرية واحتمله السودانيون لمدة الستين عاما فلماذا اندلعت الثورة فى عام ١٨٨١م ؟ لماذا لم تندلع فى وقت أسبق ؟ لماذا ضاق السودانيون ذرعا بذلك النظام فى ذلك الوقت بالذات [١] ؟ وفى موضع سابق كان هولت قد وصف الدوافع التقليدية التى درج عليها المؤرخون منذ عهد نعوم شقير بأنها عوامل للسخط والتبرم [٢] وهى بهذا لا تفصح عن معنى قيام الثورة فى الوقت الذى قامت فيه لأن الحركة الثورية ـ فى نظره ـ تتوفر لها عناصر النجاح وآفاق النصر حين يواكب مثل ذلك السخط العام الناجم من مظالم محددة ـ وليس ضجرا غامضا تحسه قطاعات المجتمع المختلفة ـ أن يواكب ذلك الشعور ضعف مادى أو معنوى فى النظام القائم يجعل من العسير عليه قمع الثورة ابان نشوبها وان يتوفر أيضا وجود جيش ثورى على استعداد لاستعمال العنف فى سبيل هدفه ، وان تنشأ القيادة الثورية التى تبث الدعاية لتشعل وتوجه السخط وتبشر بنظم سياسية واجتماعية جديدة وتنظم النشاطات الثورية التى تستجيب لتلك الدعاية [٣] .

ان توفر هذه العناصر أو الشروط الثورية للثورة المهدية من حيث ضيق الناس ذرعا بالنظام القائم ، وعدم استطاعتهم أن يعيشوا تحت ظله لأكثر من ذلك ، وعدم استطاعة النظام حماية نفسه ، ونشوء القيادة الثورية الملهمة كان يعنى أن الثورة المهدية قدر حتمى لا مرد له وأن جهود أجهزة النظام التركى المصرى ستذهب أدراج الرياح بما فيها جهود طائفة العلماء . فالسخط الذى امتد عبر فترة الحكم المصرى التركى ، والذى لم يبدأ فقط منذ مآسى الدفتردار وانما منذ محاولات اعتصار امكانيات القبائل لتنفيذ مرامى محمد على باشا من فتح السودان والتى دفعت الملك نمر لاعداد الحريق الذى أودى بحياة اسماعيل باشا وأخذ يعبر عن نفسه فى انتفاضات مختلفة الاهداف والاساليب كتمرد الشيخ بدوى فى سنة ١٨٤٤ الذى كان يقول أن الحكم التركى المصرى يظلم ويقهر بلاده وان

---

(١) Holt (1963) : p. 76

(٢) Holt (1958) : p. 25

(٣) Ibid. , p. 24

ايمان الاتراك بالدين الاسلامي أمر يعلمه الله والذى لجأ الى جبال النوبة حين سعى محمد على باشا الى اعتقاله[1] . وكذلك انتفاضة الجهادية السود فى التاكا فى سنة ١٨٦٥ وتمرد سليمان الزبير باشا فى سنة ١٨٧٨ وعصيان الفقيه ادريس وجماعة من أنصاره فى سنة ١٨٧٨ على النيل الابيض ومقتله فى قرية القراصة .

هذه الانتفاضات المتباينة تشير الى أن السخط وحده ليس هو الشرط الوحيد للثورة الشاملة ، ولكن بتوفر هذا السخط مع ضعف فى الكيان الادارى للنظام القائم مع القيادة الملهمة يبدأ اندلاع الثورة . فى سنتى ١٨٨٠ — ٨١ (لم تعد الادارة « التركية المصرية » فى وضع لتأخذ بالشدة ما لم تقو على أخذه بالادارة الحسنة[2]) . فالادارة التركية المصرية لم تستقر على أسلوب لحكم السودان الا بعد عام ١٨٧٣ حين عين اسماعيل باشا أيوب مديرا لقبلى السودان ليعين من بعد ذلك حكمدارا عاما وقضت كل تلك الفترة من ١٨٢١ — ٧٣ م تنتقل به من الحكم المركزى الى اللامركزى مما يدل على المشقة والعسر الذى كانت تعانيه تلك الادارة فى السيطرة على بلاد شاسعة كالسودان ، بخاصة والتوسع فى عهد اسماعيل يضيف بحر الغزال ودارفور ومصوع وارتيريا والاستوائية الى املاكها مما يثقل كاهلها . واكتنفت تلك الادارة أوضاع فى مصر من عزل للخديوى اسماعيل بعد حالة الافلاس التى تردت فيها البلاد ، واستقالة غردون من حكمدارية السودان ، وتنصيب لتوفيق الذى حملته مصالح الدائنين الاوربيين الى الحكم فى وجه الحركة الوطنية الدستورية فى مصر ، ثم اندلاع الثورة العربية والاحتلال الانجليزى فى سنة ١٨٨٢ م . وانعكست تلك الاوضاع فى ضعف الرجال الذين كانت تناط بهم مسئوليات الحكم فى السودان كرؤوف باشا ، الذى عين حكمدارا فى سنة ١٨٧٩ م وفى أسلوب معالجة الثورة ، وفى عجز الحكومة المصرية الغارقة آنذاك فى قضاياها الدبلوماسية والدستورية عن الانتباه لما يجرى فى السودان ووضع امكانياتها للقضاء على الثورة التى كانت تحرز انتصاراتها الاولى .

وامتد هذا الضعف الملازم للدولة التركية المصرية وبلغ أشده ازاء انتصارات

---

(١) Trimingham : p. 32.

(٢) Holt (1958) : p. 32

المهدى الحربية • وأحس بعض العلماء بأن النظام يهتز ، وأن الثورة ظافرة لا شك فى ذلك ، وأن نظاما جديدا سينبنى على أنقاض النظام الذى ارتبطوا به عضويا ومصيريا ، وأنه من الخير لهم أن يغيروا من ولائهم • فحين حاصر المهدى الابيض وأصبحت آيلة للسقوط وبعث برسله لمحمد سعيد باشا يطلب اليه التسليم ، لم يقو العلماء فى الابيض على الافتاء بقتل الرسولين كما طلب منهم سعيد باشا حين وجدهما يستخفان ويسيئان للعساكر والاهلين ويهددانهم بالقتل والتنكيل [1] • وبعد انتصار شيكان عاد الشيخ المضوى الى الولاء للمهدى واشترك فى حصار الخرطوم بعد أن تركه فى البداية لانه لم يجد فيه العلامات الاجمالية التى يعرفها عن المهدى ، ولأنه يؤثر أقاربه واخصاءه بالغنيمة ، ولأنه لا ينكر على أنصاره قتل وسلب التجار السائرين ، ولأنه يقول بأن الذى لا يؤمن بمهديته فقد كفر مع أن الايمان بالمهدية ليس ركنا من أركان الاسلام [2] • وباعلان غردون لسياسة الانسحاب من السودان فى بربر تحرج وضع المجموعات التى ظلت على الولاء للحكومة التركية المصرية وأحست بضعف النظام القائم وبأنها ستترك نهبا للثورة المهدية حين يتم جلاء الحاميات العسكرية فآثرت أن تتجه بالولاء للمهدى الذى سيؤول اليه حتما أمر حكم البلاد • وكان من ضمن الذين تبنوا هذا الاتجاه الجديد استاذ المهدى محمد الخير المدرس بمدرسة الغبش ، والذى كانت تجرى عليه الحكومة راتبا شهريا وشيئا من الحبوب ، والذى تردد فى تلبية دعوات المهدى له بالحضور وحين تكشف له خذلان الحكومة التركية المصرية لهم اتصل بحسين باشا خليفة ، حاكم بربر ، واطلعه على عزمه الهجرة للمهدى قائلا : « ان الحكومة قد أقرت اخلاء السودان فأى خير لنا فى البقاء معها وما الذى تقوله للمهدى بعد ذهابها واحتلاله مكانها » [3] • ونادى عبد القادر قاضى الكلاكلة بالمهدية وحاصر الخرطوم من جهة البحر الابيض بعد أن كان قد صحب ستيوارت باشا فى الباخرة التى أرسلها غردون باشا لتأمين الاهالى ومعرفة تأثير المنشور الذى أصدره آنذاك مع نفر من الاعيان [4] •

وبحلول المهدى بـ (أبوسعد) ، وخلال المعاناة الشديدة التى اكتوى بها

---

(١) شقير : ٢/١٥٧
(٢) نفسه : ٢/١٤٦
(٣) نفسه : ٢/٢٢٤
(٤) نفسه : ٢/٢٢٠

أهل الخرطوم تنبه بعض العلماء الى خطورة الثبات على الولاء القديم للنظام التركى المصرى ، وهم يشهدون آخر حلقات الحصار تكتمل بقدوم المهدى ، فاتفق فى ذلك الوقت نفر من الاعيان وكبار الموظفين على مكاتبة المهدى يعلنون اتباعهم للمهدية ، وجهودهم الرامية الى اضعاف الحكومة ، وتحينهم الفرص للانفلات اليه . وشفعوا ذلك بمبلغ من المال لفقراء جيش المهدى • ووقع الخطاب فى يد غردون فاستجوب المشتركين فى توقيع الخطاب وهم : أحمد بك جلاب ، مدير الخرطوم ، وأخاه تميمى ، والشيخ محمد خوجلى ، قاضى عموم السودان ، والفضل ابراهيم ، باشكاتب مجلس الاستئناف ، وأبوبكر الجركوك ، أحد أعضاء مجلس الاستئناف ، والخليفة ولد أرباب من أرباب المعاشات ، والفكى الامين البشير (الضرير) ، شيخ الاسلام ، ومحمد عبد الرحمن البشير ــ تاجر ، وادريس بك النور ، أحد أعضاء مجلس الاستئناف ، فحبسهم فى ثكنة العساكر واعتقل المدير وأخاه والقاضى وشيخ الاسلام فى منازلهم [1] •

فى الوقت الذى كانت تنضج فيه عوامل السخط والتبرم والضيق بالحكم التركى ، ويتضح العجز والضعف فيه ــ فى هذا الوقت كان المهدى يهب لأهالى السودان القيادة الثورية الملهمة • فلقد صهرت روح المهدى أزمة روحية عميقة ، وكانت منادااته بالمهدية محاولة منه ليبث ، فى بيئته ومجتمعه ، روح التغيير التى امتلكت أنحاء نفسه [2] ، وكان الدين يتعرض لمحنة قاسية بعد الانقسام الذى فصل رجال الدين الى متصوفة تقليديين تنمو على انهيارهم فئة العلماء ذات الحظوة ، وكانت منح الحكومة لرجال الدين تشيع فسادا فى الحياة الدينية اذ تهافتوا عليها للدرجة التى أحست بها الادارة التركية المصرية واتخذت من الاجراءات ما يوقف سيل الرجاءات والالتماسات لتحصر تركيزها واهتمامها على فئة العلماء • وكانت الحكومة تعلن الايمان بالاسلام وتضطهد المسلمين وتسومهم العذاب فيهجرون ديارهم ساخطين ضجرين • لا شك أن المهدى كان يتأمل ذلك جميعا ــ ليس بدافع فقر أو املاق شخصيين ــ ولكنه تأمل رجال عرفهم التاريخ فى مثل هذه الحقب تملأ نفوسهم المثل العليا ويحلمون باعادة صياغة العالم على نسق جديد • وكان المهدى فى هذا الاثناء يربى نفسه على تقاليد الزهد الموروثة عن التصوف

(١) شـقير : ٢/٢٦٥ ــ ٢٦٦
(٢) Trimingham : p. 150

فيرفض أن يأكل من طعام أستاذه محمد الخير لأنه كان يجرى عليه من الحكومة. وكان يحتك بحكم ثقافته الصوفية وتجاربه فى سياحاته بصور الانقاذ والثورة فيعثر على فكرة المهدى ليس فى بطون الكتب فحسب ، بل فى التقليد السائد فقد كان من (عادة محمد أحمد أن يخرج سائحا مع أصحابه لانذار الناس بطريقته ودعوتهم الى الله ثم يعود الى محل اقامته فى جزيرة أبا .... ورأى بعينه وجد الناس خاصتهم وعامتهم على الحكومة وشدة رغبتهم فى التخلص منها حتى كان الكثير منهم يتمنون ظهور المهدى الموعود لينقذهم من هذه الحالة بل كانوا كلما رأوا رجلا يفضلهم عقلا ودراية وله الغيرة على الدين ظنوه المهدى)[1] . ولعل شعورا شبيها كهذا هو الذى ربط بين المهدى والخليفة عبد الله فى البحث الدؤوب الذى اضطلع به الخليفة عبد الله للوصول الى المهدى حتى أنه تعلق بالزبير باشا حين انتصر على عرب الرزيقات فى شاكا لأنه قد حلم بأنه المهدى المنتظر . شعور شبيه بهذا ربما كان يسيطر على تلاميذ الشيخ القرشى الذين كانوا يقولون بأن المهدى سينبثق من بينهم على ما جرت به كتبهم.

كان المهدى يعيش مفتوح الذهن والقلب على المرارة والظلم والفساد الذى كانت تكتوى به غالبية الاهلين فى السودان ، وينمى ، من جديد ، التقليد الذى ساد فى دولة الفونج حيث كان « الفقير » ملاذ الجمهور وسندهم ووقيعهم . وشهدت أبا فى تلك الفترة تكاثر المريدين والزوار وذوى الحاجات على المهدى . بينما كان العلماء الذين اندغموا فى الجهاز التركى المصرى قد انغلقت أمامهم الرؤية وضاقت فرص التأمل الحر فانكفأوا على أنفسهم ومصالحهم . وحصروا أنفسهم فى تهنئة الحكام الجدد ، وتسلم خلعهم وهداياهم ـ كما حدث على عهد تعيين جعفر صادق باشا ـ وتنمية الصداقة معهم ، وتقبل دعواتهم للافطار فى رمضان . فحين نقل جعفر باشا (فجعت الديار السودانية بسفره وأصيب العلماء الدينية بفقدان ثمرة[2]) . ولكن لم يكن المهدى ليمارس الواجبات التقليدية « للفقير » من شفاعة، وأخذ باليد ، ودفع لحاجة المحتاج ، تحت

---

(١) شـقير : ١٢٠/٣.
(٢) مكى شبيكه (١٩٤٧) : ص ٣٨

ظـل النظام التركى المصرى الا بثـورةجذرية تستقطب وتستوعب كل المظالم • إذا فالمهدى ـ حين نضج السخط وساد التفكك والضعفى فى الجهاز الادارى ـ كان يهب القيادة الثورية التى ظل يؤهل نفسه لها دون العلماء ، فأكمل بذلك الشروط الثورية التى ذكرها هولت •

تحت ضغط الثورة المنتصرة إذا كان النظام التركى المصرى يتحلل وينتهى الى الانهيار التدريجى • وكان جهاز طائفة العلماء الذى ترعرع فى ظله يمر بنفس تلك المراحل من التحلل والانهيار • وكلما ازداد ضغط الثورة وضعف النظام كان العلماء ـ أفراداً وجماعات ـ يشقون عصا الطاعة عليه ويعلنون الولاء والانحياز التام للمهدى ، مما يؤكد أن البلاد كانت فى عام ١٨٨١ مقدمة على ثورة جوهرية توفرت لها كل الظروف للنجاح والنصر وكان جليا أن جهود جهاز العلماء فى دولاب الدولة التركية المصرية فى حرب الافتاء والدعاية الفكرية لن تردع عجلة الثورة ، فالواقع الموضوعى والاجتماعى كان أقوى من كل نشاط وهمة يضطلع بها العلماء ، لأن ذلك الواقع كان يبشر بحتمية الثورة •

الفصل الثالث

المناظـــرة الفكريـــة

(أ) العلماء

●

لم يكن عزوف طائفة العلماء عـن الانتباه لشروط الثورة التى كانت تنضج فى الأعوام القليلة التى سبقت عام ١٨٨١م تحمل معها رياح ثورة المهـدى مردودا الى الوضع المتـاز الذى تبوأته تلـك الطائفة فى جهاز الدولة فحسب . حقـا حجب ذلك الوضع المتاز عن عيونهـم السخط والضعف فى الجهاز الادارى ثـم التبشير بالثورة الذى كان يضطلع بـه المهدى بل ورشحهم لمواجهة الثورة المهدية بالعداء فى ميدان المناظرة الفكرية . ولكن كان للخلفية الثقافية التى يحملها اولئـك العلماء أثر كبير فى اسـدال مزيـد مـن الحجب على مجرى الواقع الاجتماعى غير تلك التى كان يسدلها عليهم وضـعهم المتـاز فى السـلك الادارى . فبحـكم تكوينهم الازهرى القائم على التأهيـل السـنى الفقهى والمنبنى على نمط مـن أساليب التدريس فى الاحتجاج بالنصوص والاستشهاد بها كانت فكرة المهدية بالنسبة لهم تحديا لكل أسـس ذلك التكويـن فتصدوا لها بالعداء وبالدحض والازدراء . فالشيخ المضوى ، ذو التعليم الأزهـرى والذى توجه للمهدى بعد انتصاره على أبى السعود فى أبا تحـت تأثير ما تناقلـه الناس عن عجائب المهدى وكراماته ، لـم يلبث أن ارتاب فيه . وقد حكم فى هـذا الارتياب حصـيلته الثقافية الأزهـرية . فرأى المهدى ــ على غـير ما يستوجـب الشرع ــ يخص أقاربه واخصاءه بالغنيمة دون بقية جنده . ورأى منه صمتا عمـا فعله انصاره بقافلة تجارية من قتل وسلب للاموال . ورآه يكفر من ينكر مهديته ــ والايمـان بالمهـدى ليس من أركـان الاسلام التى تكفر من لايعتنقها . ولم ير فى محمد احمد المهدى العلامات الاجمالية التى يعرفها عن المهدى . إذا كانت للخلفية الثقافية لطائفة العلماء مقرونة بالوضـع الاجتماعى المتاز فى هيكل الادارة التركية المصرية الكـلمة النهائية فى المواجهـة العدائية التى نشبت بين المهدى وبينـهم وقد عبرت رسائل العلـماء التى كتبـت لتكذيب دعوى محمد أحمد المهـدى فى حكمدارية عبد القادر باشا عن طبيعـة وأساليب المنهل الثقافى السنى الفقهى لتلك الطائفـة .

على كثرة الأحاديث الواردة فى أمر المهدى ـ صفاته وزمانه ومكانه ـ فانها « لم تجد فى الحقيقة منفذا تتسرب منـه الى مصنفات الحديث الصحيحة المتشددة فى ضبط الرواية . ولكن أخرجتها الكتب الأخرى التى كانت أقل تشددا فى صحة تخريج الأحاديث [1] . » ولكن يبدو أنه . وازاء ضغط التيار الشعبى الذى تشكل عقيدة المهدى مقوما أساسيا فيـه وفى الصراع القديم بينهما ـ تسرب الى عقيدة العامة من أهل السنة بل وكثير من الخاصة أثر شيعى حدا بهم الى الاعتراف بعقيدة المهدى مع صقلها وتهذيبها [2] فانتهـوا الى القول بأنه سيبعث فى آخر دورة للاسلام وبالتالى للحياة على هذه الارض رجل من سلالة النبى يلقب بالمهـدى بمعنى الذى هداه الله الى الطريق السوى ، ويظهـر المسيح من بعده ، وتمـلأ الارض عدلا . ولكن لم يتقرر ذلك بالنسبة للفقه السنى كعقيدة دينية كما كان بالنسـبة لطوائف الشيعة التى كانت تنتظر أن يخرج هـذا المهدى من آل البيت . وقد أثمر النفـوذ الشيعى على متأخرة المتصوفة أيضاً توقعاً للمهدى فى كتاباتهم فى حـين لـم يخض متقدموهم فى شىء من هذا . وقد صاحب تبلور فكرة المهدى عند متأخرة المتصوفة نشوء منحـاهم فى المعرفـة القائم عـلى الكشف وفيما وراء الحس [3] .

كان الأزهر ، منذ أن حظرت الدعوة الشيعية الفاطمية فيه بانتصار الايوبيين فى مصر ، يشهد صراعا بين الفرق السنية فى امر ادارته . وقـد تركز ذلـك الصراع أساسا بين فرقتى الشـافعية والحنفـية . وبهذا ظل الازهر لايسمح للتيار الصوفى بالتسلل إلى مناهجه وبرامجه الا فى حدود يسيرة مستبعدا فى ذلك صـور التصوف المتطرفة [4] . كان الازهر ـ وهو مركـز التيار السـنى الفقهى والمنهـل الثقـافى لطائفة العلماء ـ قد شكل تكوينهم الثقافى وبهذا التكوين تصدوا للمهدى فى المناظرة الفكرية التى جرت بينه وبينهم .

وفى كتاب المفتى شاكر فى تكذيب دعوى محمد أحمد المتمهدى لخص الكاتب الموقف السنى الفقهى من المهـدى فقال :« ان بعض العلماء قال بظهور المهـدى فى

---

(١) اجناس جولد تسيهر : ص ٢١٨
(٢) سعد محمد حسن : ص ١٧٥
(٣) ابن خلدون : ص ٧٤٧
(٤) Vollers, K. : p. 535

آخر الزمان واحتجوا بأحاديث خرجهـا الأئمة وبعض العلماء انكرهـا وتكلمـوا فيها وربما عارضـوها ببعض الاخبـار .وللمتصوفة المتأخرين طريقة أخرى في أمره . ورمز بعضـهم الى خروجـه في ج ف ح اشارة الى انه يخرج سنة ٦٨٣ ورمـز بعضهم الى خروجه في سنة ٧٠٠ وكسوروغير ذلك ولم يخرج . فللعلماء فيه قولان فقول بخروجه آخر الزمان وقول بعـدم خروجه [١] . »

أختلف منحى طائفة علماء السودان في مواجهة تفنيد دعوى محمد أحمـد المهدى عن منحى ابن خلدون ـ حـين ناقش أمر الفاطمى أو المهدى الذى يذهب الناس في شأنه وكشف الغطاء عنه إذا تنقلت بنقاشها من مستوى التجريد النظرى الى مناقشة حقائق الاحاديث الواردة في أمر المهدى على ضـوء ملابسـات وظروف الحركة المهدية في السودان . تناول ابـن خلدون الاحاديث الواردة في شأن المهدى بالتجريح والطعن في رجال الاسانيد فيها وانتهى الى مايشبه التشكيك فيها عـلى أثر ما تبين له فيها من غفلة او سوء حفظ أوضعف أو سوء رأى [٢] . ولكن وفي مواجهة ثورة ناشبة باسم المهدى لم تجد طائفـة العلماء في السـودان بدءاً من التسـليم الضمنى بصحة شأن المهدى . ففى رسالة المفتى شاكر اشارة الى أن محمد أحمـد ليس هو المهدى المنتظر ، لمخالفته التقليد السائد حول المهدى في أوصـافه ، وفي مكان مولده ومكان خروجه ،وفي وزرائه ،ورجاله . فهذا المسلك يرمى الى تجريـد دعوى محمد احمد المهـدى من الشروط والمواصفات والمقومات التى رسمتها تلك الاحاديـث للمهـدى ، ولايكشف عـن استخفاف التفكـير السـنى الفقـهى الجوهرى بمسألة المهدى . ففى رسـالة السيد احمد الازهرى المسماة (النصيحة العامة لأهل الاسلام عن الخروج عـن طاعة الامام) وفي رسـالة المفتى شـاكر المذكورة آنفا لانجد دحضا لشأن المهدى كفكرة وكتصور وكعقيدة كما ذهـب الى ذلك ابن خلدون وانما نجد جهداً يسعى لتكذيب دعوى محمد احمد المهدى ونفى صلته بما ورد في الاحاديث من علامـات واشارات المهدى . فطائفة العلمـاء في السودان انطلقت من قبـول مبدئى ـ بصدق أو مناورة ـ للأحاديث الواردة في

---

(١) انظر رسالة المفتى شاكر

(٢) ابن خلدون : شغلت مناقشة ابن خلدون لامـر الفاطمى الصفحات ٧٢٧ ـ ٧٤٥

أمر المهدى واتخذت تلك الاحاديث أداة فى صراعها لتجريد محمد احمد المهدى من كل الشروط والاشارات المتضمنة فى تلك الاحاديث لظهور المهدى •

فأحمد الازهرى يورد حديثا للعالم المحدث شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمى يذكر فيه أن مولد المهدى بالمدينة ليدلل بذلك على أن محمد أحمد المهدى ـ وهو المولود ببلاد السودان والدنقلاوى الاصل ـ لاينطبق عليه ذلك الشرط • ويتفق المفتى شاكر مع الازهرى فى أن مولد المهدى بالمدينة ، وان جاء فى العرف الودى والصواعق ان مولده بمكة • وفى صفات المهدى يأتى أحمد الازهرى بجملة من الاحاديث تقول بأن المهدى رجل من عترة النبى أفرق الثنايا أجلى الجبهة ، وجهه كالكوكب الدرى ، اللون لون عربى ، والجسم جسم اسرائيلى ، أو شاب أكحل العينين ، أزج الحاجبين ، أقنى الأنف ، كث اللحية ، على خده الايمن خال • ويستنتج من هذا أن هذه الصفات مفقودة فى محمد أحمد المهدى ويسارع ليرد على ما يقوله محمد أحمد المهدى من أن بخده الايمن خالا فيقول بأن توفر الخال مع انتفاء الصفات الاخرى لايكسبه صفة المهدى • ويورد المفتى شاكر أيضا مجموعة مشابهة من الاحاديث ليصل الى نفس النتيجة التى استخلصها احمد الأزهرى ، ويضيف الى ذلك حديثا يقضى بأن المهدى يشبه النبى فى الخُلق ، ويقرب منه فى الخَلق • ويبنى المفتى شاكر على هذا تفنيده لدعوى محمد أحمد المهدى ، إذ ان النبى ابيض ، مشرب بحمرة ، كما ورد فى الشمائل الترمذية • ومن ظن أن لون النبى لون محمد احمد المهدى فقد انتقصه ـ وحكم منتقصه (صلعم) الردة ولا تقبل توبته • ويتعرض لاخلاق المهدى فيقول بأنها قائمة على قتل الناس واستباحة اموالهم • وليس هذا من خُلق النبى فى شىء •

وفى مكان ظهور المهدى يتفق الأزهرى وشاكر على اتخاذ الحديث القائل بظهوره فى موضع يقال له ماسة من جبل المغرب منطلقا للتصدى لمحمد احمد المهدى ، الذى أنبأ عن النبى أمراً له بالهجرة لموضع يقال له ماسة بجبل قدير• برغم إضعاف شاكر لحديث العلقمى الذى قال بخروجه بالمغرب استنادا على أن لا أصل له ولكنه ذهب فى ذلك مذهب « الاتفاق جدلا » ليقول ـ رغم ضعف الحديث ـ فان محمد احمد المهدى لم يظهر بجبل ماسة وراء السوس الاقصى ،

وانما ولد بدنقلة وخرج من جزيرة أبـــاوجبل قدير • ولايكتفى الازهرى بذلك، وانما يجادل محمد احمد المهدى فيـــاذهب اليه فيقول بأن جبل قدير من جبال الصعيد ، وحتى لو كان ماسة المعروف فىالتقليد فليس لجـبل قدير ســاحل كمـا لجبــال المغــرب •

وفى علاقة ظهور المهدى بعيسى والدجال والسفيانى يذهب الازهرى وشاكـر مذهبين متباينين • يورد الأزهرى قولـينلشهاب الدين الامام احمد بن حجر وابن العربى مؤداهما أن المهدى من أهل بيـتالنبى (صلعم) ويملك لمدة سبع سنـين يملأ الارض فيها عدلا ويخرج مع عيسىفيساعده فى قتل الدجـال بباب له بأرض فلسطين ويؤم المهدى الامة ، ويصلىعيسىخلفه ، ويفتحان معاً القسطنطينية بالتسبيح والتقديس • ويتساءل الازهرى عن حالهذا الوقت فلم يظهر عيسى ولا الدجال • وتبعاً لذلك تبطل دعوى محمد احمـــدالمهدى • ويأتى المفتى شاكر بتقليد يقـول بخروج المهدى لقتال يوسف السفيانى ــوهو تصور المنـقذ أو المخلص عنـد الامويين فى مواجهة مهدى الشـيعة ــ لالقتال المسلمين • ويعلق المفتى شاكرا قائلا بأن محمد احمد المهدى يقاتل المسـلمينويدعى المهدية فى وقت لم يشهد النـاس فيه ظهور السفيانى •

ويقول أحمد الازهرى فى حديـثمنسوب الى على كرمالله وجهه ان المهدى يظهر حين ينشب اختـلاف حول مـوتخليفة . ويدلل بذلـك على كذب محمـد أحمد المهدى ، لأن الخليفة موجود ولـمينشب خلاف حول من يخلفه ، وأندعوى المهدية انقلاب على البيعة مع أن الخليفـةلم يكفر وهذا لايجـوز شرعا • ويـورد حديثا آخرا يقول بظهور المهـدى حـينيحل بأمة محمد بلاء شديد من سلاطينهم لم يسمع ببلاء أشد منه حتى لايجد الرجلملجأ • ويتفق المفتى شاكر معـه فى ربط ظهور المهدى بحلول بلاء عام ، ويتخـذانمن ذلك تكأة لأن الحياة فى الســودان طاهرة من المفاسد وتحت رعاية الخديوىالأعظم وسعادة افندم ناظـر ديــوان وحكمدار السودان تسترغد المعيشـة ،وهما ملجأ العامة • فوجـود هـذا الملجأ يكذب محمد احمد المهـدى الذى يملأالأرض خرابا وسلبا ونهبا ممـا لا يبشر بقسط أو عدل • ويربط الازهرى بـينظهور المهدى وفتح الكنوز على يديـه ،

ووضع الجزية والعطاء الكثير والرخاء وتوزيع المال صحاحا بالسوية وغنى القلوب والقناعة ليقول بأن السودان لم ير اعطاء السماء قطرها أو الارض نباتها ولا غنى القلوب ولا حثو المال بل نرى قلة الامطار وغلاء الاسعار وتكالب الناس فى الدنيا حتى يقتل بعضهم بعضا لأجل اخذ المال ، فالزمان على هذا النحو ليس زمان المهدى .

وفى مسألة طاعة الجمهور المسلم للمهدى وانصياعه وتسليمه له يورد الازهرى والمفتى شاكر الحديث القائل بأن المهدى ــ أبان ظهوره ــ ينادى ملك فوق رأسه : هذا المهدى خليفة الله .ويستطرد الازهرى فى الحديث فيصور اقبال الناس عليه ، وشرابهم حبه .وامتلاك الأرض شرقها وغربها ، وان الذين يبايعونه بين الركن والمقام بعدد أهل بدر ، ثم تأتيه ابدال الشام ونجباء مصر وعصائب أهل المشرق واشباههم . ويبعث الله له جيشا من خراسان برايات سود نصرة له ، ثم يذكر توجههم للشام أو الكوفة مع جواز الجمع بينهما وتأييد ثلاثة آلاف من الملائكة له وكون أهل الكهف من اعوانه . وازاء هذا التدفق والاقبال الحسن على المهدى ـ كاشارة من اشاراته ــ يضع الازهرى صورة أهل السودان الذين يتمنون ان تظفر الحكومة بمحمد أحمد المهدى حتى تزال مفاسده . ويضيف المفتى شاكر أن المهدى يبايع وهو كاره ، ومهدى السودان يندب الناس للبيعة ، ويقتل من لايبايعه ، وأن محمد أحمد المهدى لم يناد فوق رأسه ملك حتى تصح دعواه وتستقيم .

وفى وزراء المهدى وأتباعه يقول الازهرى عن محى الدين بن عربى إن وزراء المهدى طائفة حباها الله تعالى فى مكنون غيبة وأطلعها كشفا وشهودا على الحقائق ــ وما هو الا أمر من الله فى عباده فلا يفعل المهدى شيئا الا بمشورتهم وهم على أقدام رجال من الصحابة ، الذين صدقوا الله ما دعاهم اليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربى ولكنهم لايتكلمون الا بالعربية ، لهم حافظ من غير جنسهم ماعصى الله قط ، وهو أخص الوزراء . ويخلص الازهرى الى أن وزراء محمد احمد المهدى الذين يحصدهم سيف الحكومة لايسكن الادعاء بأنهم الوزراء الذين عناهم حديث ابن عربى . فهم اذا من المدلسين والمدعين نتيجة تسويلات نفسية . وهذا ينفى عن محمد احمد المهدى دعوى المهدية . وفى مكان آخر يشير الى أن الذين أخذوا

رايات مهدى السودان اتضح انهم مخذولون ويقتلهم جنود الحكومة . ويورد شاكر حديثا يفيد بأن رجال المهدى إلهيون من أبدال الشام وعصائب اهل العراق مع أن الثابت أن مهدى السودان قد تبعته جهلة العوام وأوباش الطغام .

وفى تكوين المهدى يقول الازهرى بأن حديثا قد ورد فى هذا الشأن ينسب المهدى الى أهل البيت ، وأن الله يصلحه فى ليلة . ويرجع الى اطوار تدرج محمد أحمد المهدى فى العلم فيقول بأنه سلك الطريقة الخلوتيه (السمانية) على يد الشيخ القرشى ، وعلى يد غيره ، وحضر مجالس العلم عند جماعة ، فعلى تقدير إصلاحه من المشايخ المذكورين ، فانه لايوافق ظاهر الحديث الوارد فى هذا الشأن. ويقول المفتى شاكر بأن المهدى المنتظر يلتزم الكتاب والسنة لايخرج عليهما ولكن مهدى السودان نبذ الكتاب والسنه لأنهما لايبيحان الخروج عن طاعة الامام والكذب والغش والتلبيس على المسلمين وقتلهم بلا حق ــ والشرع لايبيح قتل الكافر والمؤمن والمعاهد ، ولا نهب ماله .

وحول مسألة هل يكفر من شك فى مهدية المهدى خرج الشيخ المضوى على المهدى وهجر صفوفه مع جملة من أسباب أخرى ورد ذكرها . وحول هذا التساؤل أيضا يعالج الازهرى المسألة ليرد على مايذيعه محمد أحمد المهدى عن النبى (صلعم) بأن المنكر فى مهديته كافر ، وخارج على الدين ، فيقول بأن محمد احمد المهدى اذا اراد بالكفر تغطية الحق بالباطل فلا يحصل الا اذا اتضحت دلائل تصديقه وهذا مالم يحدث . واذا أراد بذلك الخروج عن الايمان فهذا خطل لأن المهدية ليست نبوة ولا رسالة وغايتها خلافة . فانكار أصل المهدية والشك فيها لايوجب كفرا بمعنى الخروج عن الاسلام .

وفى نطاق الدفاع عن النظام القائم آنذاك فى السودان ، والذى يستمد شرعيته ــ فى نظر العلماء ــ من استظلاله بمباركة ورعاية خليفة المسلمين العثمانى ، جرت الثقافة السنية الفقهية طائفة العلماء بعيداً من اعمال النظر فى مجرى الاحداث المعاصرة ، واغلقت فى وجوههم باب الاجتهاد والمبادأة ، واحكمت من الحجب التى اسدلها من قبل انعزالهم اجتماعيا فى سلك الدولة ، وترعرعهم فى كنف جهازها وثقافتهم المعادية للفكرة المهدية ، كتصور للانقاذ عند جمهور الشيعة والمتصوفة .

ففى منازعة السلطان الجائر ذهب أهـل السنة مذهبا تقليـديا محافظـا فقالـوا « الاختيار أن يكون الامام عادة محسنافان لم يكن فالصبر على طاعة الجائر أولى من الخروج عليه ، لما فيه مـن استبدال الخوف بالأمن ، واهراق الدماء وشـن الغارات والفساد ، وذلك أعظم من الصبرعلى جوره وفسقه ، والاصـول تشـهد والعقل والدين أن أقوى المكروهين أولى بالترك . » [1]

ترسست طائفة العلماء هذا المسلك السنى المحافظ لتدمغ ثورة محمد أحمـد المهدى بانها خروج على السلطان وتمردعلى النهج السنى . وليس على هـذا المستوى من التجريد فحسب وانما خروج على حكومة لها على جمهور السودانيين ، كما جاء فى رسالة المفتى شـاكر (مـن الاحسان الجليل والغفران الجزيل فانهـا ربتكم فوق مهد عدلها وادارت عليكـم وافر فضلها وخلصتـكم من ملوكـكم الاولين الذين اتخذوكم عبيدا وخولا ..وعمرت بلادكم وأمنت اوطانكم وكثـرت زراعتكم بعد أن كانت بلادكم بغايـة الخراب والبوار وأموالكم وذراريـكم للنهب والاسار لاتملكون خطـيرا ولاحقيرا . والآن لله الحمد صرتم بفضـلها ومن سياستها فى غاية الأمن والعمـارة وكثرة الغنى واليسار ومع ذلك فهى تنفق على عمار بلادكم وحفظ حياتكم المبالـغ الوافرة من خزائنها العامرة ولاتحملكـم دفع شيء من ذلك وما تأخذه منكم مـن المطالب الاميريه ينفق مع زيادة عليه منها فى مصالح بلادكم الضرورية .)

وتأتى طائفة العلماء بشواهد ونصوص شتى لتدعم وتدلل وتسند مسلكهـا المنبنى على الموقف السنى المحافظ الذى يحظر الخروج على الامام الظالم . فالامام فى رسالة الازهرى لايعزل ولاتنبذ بيعته ولا يطرح عهده الا اذا أمر احدا أن يكفر أو كفر هو ـ أى الامام . وما دام لـم يكفر أو يكفر أحدا فالطاعة له واجبـه ، ولو زالت عنه العدالة واتصف بالفسـق كما هو عليه أهل التحقيق . وتتكرر هذه الآيات والاحاديث فى رسالتى الازهـرى وشـاكر :

- قال تعالى « واطيعوا الرسـول واولى الامر منكم »
- قال النبى (صلعم) «عليكم بالسمع والطاعة وان ولى عليكم عبد حبشى »

---

(1) محمد احمد ابوزهرة : ص ١٥٥

• قال النبى (صلعم) « من اطـــاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصى اميرى فقد عصانى • »

• قال النبى (صلعم) « تسمع وتطع وان ضرب ظهرك واخذ مالك • »

ويتعرضان لفلسفة السلطان ، فالازهرى يرى أنه سبحانه وتعالى بيّن لعباده طريق الضلالة وطريق الهدى ، وانه مراقب لهم فى جميع احوالهم وافعالهم ، وأنـــه لم يتركهم سدى واختار من عباده اناســا اولاهم اسرار المملكة ، وأمرهم بطاعته ، وجعــل مخالفتهــم مؤديــة الى الوبال والتهلكة • وينتهى المفتى شاكر الى القول بالحق الالهى للسلطان حــين قال بتلازم الدين والسلطان . فالدين هو الاســاس والسلطان هو حافظه ومشيده ، وما لاحافظ له ضائع يعز تأييده ، فلا دين الا بالسلطان هو القائم بحماية الديــن وحفظ بـــلاد المسلمين ، وهو ظل الله فى أرضه ، وبـه تقام شعائر سننه وفرضه • فهو خليفتــه على خلقه . وامينه على رعاية حقه • الامام ــ السلطان العثمانى ــ عند المفتى شاكر موجود بقيد الحياة ، ودولته منتظمـــة مؤيدة بوزرائه ويخطـــب له بالنصر فى المنابر ، وبيعته يجتمع عليها أهــل الحــل والعقد ، فالذى يخرج عن طاعتــه باغٍ ومتحد لله والرسول وساعٍ فى الارض بالفساد فتجوز مقاتلته ورده عما هـــو عليه واقامة حد الشريعة فيه •

وكمــا واجه العلمــاء الخصــائص النوعية للدعوة المهدية فى السودان مــن حيث مكان مــولد المهــدى ، وظهــوره وصفاته ووزرائه وجنده فقد كان لزامــا عليهم أن يواجهوا أمر تحدى المهـــدى للامام والحكومة فى الميدان الذى اختاره وبالاساليب التى يسوغ بها مســلكه . فمحمد أحمد المهدى يرجع أمر خروجـــه بالثورة الى رؤيا شهد فيها النبى (صلعم) وقد طوقه بالمهدية • يتصــدى العلمــاء لحكم الرؤيا بتأهيلهم السنى الفقهى القائم على مبدأ الظاهر ومعاداة النفث والالهام الباطنى ، فيقول الازهرى لايصح لمحمــد أحمد المهدى العمل بأمر الرؤيا حيـــث كان الامر يخالف حكم الشرع ، مـــن خروج عن طاعة الامام ، ونبذ عهده وطرح بيعته ، فضلا عن تأدية ذلــك الى ايــذاء المسلمين فى النفس والمال • ويستدل على ذلك بقول العلمــاء بأن الرجــل اذا رأى رسول الله (صلعم) فى المنام ، وأخبـــره بطلاق زوجته فليس ملزما بذلك لعـــدم ضبط النائم ، وان كان الشيطان لايتمثل

برسول الله (صلعم) فى النوم . ويتطرق من بعد ذلك الى أساليب الكشف ، وهى طريق الصوفية فى الالهام والمعرفة اليقينية، فينبرى لهذا الاسلوب بالدحض فلا يصح لمحمد أحمد المهدى أن يعمل بالكشف لأنه مخالف لظاهـر الشرع . فالولى فى رأى أكابر العلماء ، يناط به حكم الظاهر فكيف وانه ارتكب أمرا مخالفـا لظاهـر الشرع يتبع فيه ، خصوصا إن أدى الى سفك دماء المسلمين وإتلاف اموالهم . فأكابـر الصوفية يقسمون الكشف اقساماً بعضها خيالى ، فلا ينبغى الاهتـداء بالكشف والحال كهذا حين يدعو الكشف الى خرق الشرع واضرار المسلمين .

كانت المناظرة الفكريـة التى دارت بين المهدى والعلماء مجالا لصراع تقليدى بين مدرستين من مدارس التفكير الاسلامى: هما التصوف والاتجاه السنى الفقهـى فى بيئة السودان بخصائصها النوعيـة من حيث ارتباط الاتجاه السنى الفقهـى الوافد بجهاز الدولة وحظوته برعايتهـا ،وعطفها ، ومن حيث ان السلوك الصـوفى ورث تقاليد راسخة لونت الذهن الشعبى المسلم بأخيلة وأساليب فى المعرفة واتجاه فى السلوك ضمنت للاستجابة لصـوت صوفى اكثر من الاستجابة للصوت النافذ اليها من بطون كتب السنة والفقه . وكما كانت الظروف الموضوعية فى الواقـع الاجتماعى بالسودان تنشـق عن ثورة ظافرة فى سنة ١٨٨١ م فقد كان للمنـاخ الفكرى لجمهور السودانيين ، وهو يسمع لصوت الثورة ، مهمة التعجيـل بهـا بالاستجابة السريعة والانخراط فى صفوفها، وتجشم تبعات ميلادها . كان هذا المنـاخ الفكرى يتلقى بذور الثورة فيرعاها وينميها ويطرح البذور الغريبة التى كانت طائفـة العلماء تجهد لبثها لافساد الثورة ودحض مقوماتها وشل فعاليتها .

الفصل الرابع

المناظـــرة الفكريـــة

(ب) المهدى

●

كانت للصراع الـذى احتـدم بين المهدى والعلماء جذوره منذ عهد الفونج. فقد شهد ذلك العصر كما ورد فى الروايات المتـواترة صراعا مماثلا فى النـوع وان اختلف فى الدرجة . دار الصراع بين علماء الفونج ومتصوفيها فى نطاق المســائل الشرعيـة والشخصية ولم يتجاوزها الى مواجهة سياسية بسبب المعايشة السلمية التى انسجم فيها التصوف والعلم عـلى البيئة السودانية . فمن تلك القضـايا الشرعية ما يروى عن المشادة التى نشبت بين القاضى دشين والشيخ الهميم حـين جمع بين الاختين وما انتهى اليه القـاضى دشين اذ فسخ الله جلده بدعوة من الشيخ الهميم الذى لم يرق له تدخل القـاضى دشين بالمنع[1] . وفى المجـادلة التى ثارت حول اباحة شرب التنباك نرى الشيـخ ادريس يشير الى فقيه كان يرى اباحـة شرب التنباك بسؤال القـاضى دشين فى قبره ـ وهـو الـذى كان يشربه حتى ممـاته ـ ليكشف عن ندمـه على شربه فيتحقق للشيخ ادريس ما أراد فينطـق الميت بخطأ شربه للتنباك[2] . وفى المسائل الشخصية نشهد أن الصراع الذى نشـأ على خلافة الفكى مدنى بين أنصار مالك ـ الماهر فى العلم ـ وانصار شيخ الاعسر ـ الشديد الورع والزهد ـ يحسمه رأى قاطع من قبر الفكى مدنى يشير الى تخليف شيخ الاعسر وحين يستنكر ذلك فقـير شرقاوى ينال عقابه بأن يطبق عليـه فم القبة فينقاد الناس لخلافة الاعسر[3] .

فى هذه الابعاد المحـدودة للصراع بين العلماء والمتصوفة فى عصر الفـونج وبرغم تحفظنا فى الأخذ بالقيمة العلميـة لهـذه الروايات فان الباحث ليستخلص حقيقة لا سبيل الى انكارها فى أن مثـل هذه الروايات (تمثل اتجاها شعبيا كان

---

(١) ضيف الله : ص ٩
(٢) عبد المجيد عابدين : ص ٩٨
(٣) ضيف الله : ص ٦٧

أوضح ما يكون فى عصر الفونج ، اتجاه يثبت أن المتصوفة كانوا أقرب الى نفوس العامة من الفقهاء ، وان أهل الباطن كانوا أشد تغلغلا فى حياة الناس من أهل الظاهر . ولذلك اتجهت الروايات فى أكثر الاحيان الى نصرة الصوفى على الفقيه ، واعتبار دليل الكرامة الصوفية أقوى وأسمى من دليل الفقه ، وتسليم راية النصر فى حلبات السباق والجدال للصوفى الذى يختص دون الفقيه بالقدرة على صنع الكرامات وخوارق العادات[1]) .

وعلى هذا الوجدان الشعبى اعتمدت دعاية المهدى فى جذب أفئدة جمهور السودانيين الذين ربتهم الطرق الصوفية على نحو وتصميم ينتصر لمنحى الكشف الصوفى فى المعرفة على منحى العلماء القائم على الظاهر والاحتجاج بالنصوص والشواهد . كان المهدى فى لغته يستند على حصيلته الخاصة فى المجاهدة والسلوك الصوفى وحصيلة الجمهور السودانى فى التربية الصوفية ... فكان المهدى بذلك أكثر الهاما وأقرب الى الذهن والوجدان الشعبيين . فالمهدية لمحمد أحمد المهدى أمر من سيد الوجود (صلعم) وهواتف إلهية وعلامات أخبره بها سيد الوجود (صلعم) . وهى خلافة كبرى هجمت عليه من الله ورسوله . ولاثبات مهديته يسوق المهدى الدليل الصوفى فى مواجهة الدعاوى التى كانت ترمى الى تكذيب دعواه فيقول فى الرد على رسائل أحمد اسماعيل الولى ، وحسين مجدى ، والمفتى شاكر ، ومحمد ولد حتيك . وولد الدليل فى منشور الى العلماء والتجار والعمد والفقراء والمساكين القاطنين بمدينة الابيض (ولا تغتروا بالخطب التى ألفها فى ذمنا وتكذيبنا علماء السوء كأحمد بن اسماعيل الولى وحسين مجدى والمفتى شاكر ومحمد ولد حتيك وولد الدليل وأمثالهم ممن وقع فى عرضنا فهؤلاء ممن أدخل الله فى قلوبهم النفاق بحب المال والجاه قال صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وجاء فى الأثر اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم وجاء فى بعض الكتب الالهية لا تسأل عنى عالما أسكره حب الدنيا فيصدكم عن طريق محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى ولا يخفى عليكم أن العلماء ينكرون كثيرا

---

(١) عبد المجيد عابدين : ص ٩٩

من أمور المهدى لأنه ليس على معتقدهم الذى يظنـونه ولأنه يخـالف مذاهبهم ومما يخبركم بعدم معلومية عين المهـدى للعلماء اختلاف الروايات وكثرة الاقـوال عن أهل الكشف والمعلوم ان عـلم الله فى أزله ولا يكون على هذه الروايات الكثيرة التى منها الحديث المقطوع والموضـوع والضعيف والمنسوخ بل الحديث الصحيح ينسخ الحديث الصحيـح كما أن الآيات تنسخها الآيات ويمحو الله ما يشاء ويثبت والتصديق بأمر المهدى صعب لا يتوفق الا من أدركه بسابق سعادة لانه لا يهتدى الى معرفة حقيقته الا الأولياء العارفـون الذين لم يحجبوا عن رؤية نبيهم صـلى الله عليه وسـلم فلمهديتى من الله دلايل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر[1]) .
ويتكرر احتجاج المهدى بالناسخ والمنسوخ من الآيات والأحاديث لاثبات أن أمـر المهدى مردود الى تفويض العلم لله سبحانه وتعالى فلا تضبطه قـوانين ولا تحيط به علوم المتفننين بل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنـده أم الكتاب و (قال تعـالى ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شـاء وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هـو ولا يسأل عما يفعل ويخلق ما يشـاء ويختار ويختص برحمته من يشـاء والله ذو الفضل العظيم وقال الشيخ محى الدين بن العربى فى تفسيره على القرآن العظيم علم المهدى كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة الا الله . وقـال الشيخ أحمد بن ادريس كذبت فى المهدى أربعة عشر نسخة من نسخ أهل الله ثم قال يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حـال ينكرونه) . ويمضى فى مسألة الناسـخ والمنسوخ وقوة وضعف الاحاديث ليقطع بأن حقيقة المهدية (على ما هى عليـه لا يعرفها الا أهل المشاهدة والبصائر [2]). ويخلص المهدى الى نفس هذه النتيجـة من أن حقيقة مهديته لا يهتدى اليهـا الا الأولياء والعارفون الذين لم يحجبوا عن رؤية نبيهم صلى الله عليـه وسلم فى منشوره الى الشيخ محمد الامين الضرير مميز علماء السودان[3] ، وذلك بعـد أن يفند له احتجاج العلماء بالنصوص لدحض مهديته : فى حين أن الآيات والاحـاديث تخضع لعملية الناسخ والمنسوخ .

فى مثل هذه البيئة التى انغـرس فيها الانتصار للدليل الصوفى عبر تجارب من الصراع بين أهل الباطن من المتصوفة وأهل الظاهر من العلماء والتى نهل أهلها

(١) منشورات الامام المهدى : ٤٢/٢ - ٤٣
(٢) نفســه : ١٢/١ - ١٣
(٣) نفســه : ٣٦/٢

من المؤسسات الصوفية مبادىء دينهم وتشبعوا من جو تلك المؤسسات العامر بالكرامات والرؤى والالهام والاستشراق وتخلل كل ذلك حياتهم اليومية ، وأصبح القاموس الصوفى دليلهم فى حياتهم وآخرتهم ... فى مثل هذه البيئة وتحت وطأة الحكم التركى المصرى الذى يغذى الاهلين بالسخط والتبرم ، كان محمد أحمد المهدى يأخذ زمام المبادرة من العلماء فيهب الجمهور فكرة المهدى كمنقذ ومخلص من ثقل وبؤس حياتهم باللون وباللغة والاخيلة التى ألفوها وملأت منهم القلب والعقل . ففكرة المهدى ـ فى آخر تحليل ـ ظلت تعيش وتستقر فى أفئدة الجمهور المسلم بشكل عام .. فمن خلال الظلام المتنامى والشك السياسى والاجتماعى والخلقى والدينى الذى اعترى المجموعة الاسلامية تعلق ذلك الجمهور بالمنقذ المرتقب فأضحى « المهدى » تطلعا يرنو اليه الجمهور المسلم ويلتصق به أكثر كلما شعر بالقهر والمذلة التى يلحقها به حكامه المسلمون وغير المسلمين . فلو تأملنا تصور محى الدين بن عربى للمهدى لوجدنا صياغة نهائية لمشاعر وتطلعات وأخيلة وأحلام جمهور المسلمين فى شكل برنامج اجتماعى وتوسعى يحدد للمهدى الطبقات الاجتماعية التى تستجيب له ، تلك التى تناصبه العداء ، ويربط بينه وبين عيسى والتصور الاموى الذى تبلور فى « السفيانى » كمنقذ للامويين بعد أن أطاح العباسيون بدولتهم ، ويرسم له منهجه المذهبى . فالمهدى يخرج وقد امتلأت الارض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا ، وهو الذى يقسم المال بالسوية ، ويعدل فى الرعية ، ويحثو المال للسائل حتى يضيق ثوبه . والمهدى يحمل الكل ويقوى الضعيف ، ويعين على نوائب الحق ، يقيم الدين ، ويعز الاسلام بعد ذلة ، ويضع الجزية ، وفى الجانب التوسعى يفتح المهدى المدينة الرومية بالتكبير فى سبعين ألفا من المسلمين . ويفرح بالمهدى عامة المسلمين أكثر من خاصتهم ، ويتصدى له مقلدة العلماء بالعداء لأنه ينحو على غير ما ذهب اليه أئمتهم ولكن سيف المهدى يضطرهم للخضوع له ـ وهو الذى يقتل السفيانى ، ويأتى اليه عيسى بن مريم شرقى دمشق فى صلاة العصر فيتنحى له المهدى ليؤم الناس على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمهدى يرفع المذاهب من الارض فلا يبقى الا الدين الخالص[1] .

---

(١) محى الدين بن العربى : ٢٤٠/٢ .

من الجائز أن تصورا كهذا للمهدى،وفى اطاره العام لا فى تفاصيله ، كان يساور الجمهور السودانى المسلم قبل عام ١٨٨١م وهم يرون سلطة مسلمة كالسلطة التركية المصرية تسومهم الخسف ، وتضع عليهم الضرائب ، وتنحاز الى مجموعة دون الاخرى ، وتصادر تجارة الرقيق . التى تشكل أساسا اقتصاديا لم تنضج الظروف لالغائه [1] . فاذا أخذنا فى اعتبارنا التربية والقاموس الصوفيين اللذين ترعرع وجدان الجمهور المسلم فى ظلهما . بل واذا تجاوزنا ذلك الى تبصر وجود تقليد « المهدى » بصورته المحددة: حمل تبعته نفر من مسلمى السودان ، لسلمنا بأن محمد أحمد المهدى انما كان يخاطب جمهورا ناضجا للثورة من حيث التعبئة الفكرية والاجتماعية .

لم يكن تقليد « المهدى » حبيس بطون الكتب فقد بشر به حمد النحلان ـ وهو فى مكة ـ عام ١٨٦٠ على عهد الفونج وأرسل حواره ميرف ليعلن ظهور المهدى ، فأمر الملك بادى أبودقن بقتله وجره فأرعدت لذلك السماء وهطلت الأمطار فى غير وقتها وحطمت السيول المنازل وأحدثت جنازة ميرف خورا يسمى خور جنيجر [2] . وفى سياحات محمد أحمد المهدى فى أنحاء السودان كان يسمع بأذنه الامنية الصادرة من الاهلين بظهور المهدى ، وكيف كانوا يحسبون المهدى كل رجل شديد الغيرة على الدين كثير المعرفة . ولعل فى الرحلة التى تحمل عسرها ومشقتها الخليفة عبد الله من دارفور الى الجزيرة بسبب ما أوحى اليه والده الصالح قبل وفاته من أنه سيلتقى بالمهدى وحدثه بصفاته وعلاماته [3] ماينبىء عن توفر هذا التصور للمهدى فى الذهن الشعبى ، ويزيد ذلك ايضاحا التقليد السائد بين حيران الشيخ القرشى بأن المهدى المنتظر سينبثق من بين صفوفهم ، وأن الشيخ القرشى قد أومأ بالمهدية لمحمد أحمد المهدى . وفى معرض السخرية

---

(١) (وفى من يقول : « قطع الله دابرهم الحكام الظالمين ! » وما تسمع الا السخط على الحكام وعلى كل من هو متولى على مصلحة من مصالح الحكومة وسبحان الله تعالى من ما جعله فى قلوب خلقه صارت أغلب الناس من رجال ونساء يقولوا « ليس لنا مهدى؟ ماقالوا هذا اوان نزول المهدى») ! يوسف ميخائيل : ص ٧٥ . وهذا حال الناس فى الابيض قبل أن يذيع محمد أحمد أمر مهديته .

(٢) ضيف الله : ص ٦٢

(٣) شقير : ٢/١٢٠

بمحمد أحمد المهدى وفى التنبؤ بالفشل الحتمى لحركته ، يعيد المفتى شاكر الى الاذهان الهلاك الذى حاق بمن ادعى المهدية من قبله كابراهيم السودانى ، الذى ادعى المهدية بالخرطوم ، واتخذ محمد المهراف وزيرا ، ثم تلاشى أمره بقوة الحكومة . وكذلك الشيخ أحمد بن عبيد الذى ادعى المهدية بصعيد مصر فقمعته الحكومة وباء أمره بفشل ذريع[1]. ازاء هذه الشذرات ، التى باعادة تركيبها وتنسيقها ، يتجلى لنا التكوين الفكرى للذهن الشعبى من حيث الاستعداد والتهيئة لتقبل وتفهم أمر الثورة والجهاد باسم المهدى دون أن يحس بريبة أو شك. فى هذا الصدد كان محمد أحمد المهدى إذاً يمتلك افئدة جمهور السودانيين لانه يستند الى تقليد مهد له نوع الثقافة الذى كان يسيطر على الذهن الشعبى واضطلع به فى فترات متباعدة ـ وان تبلور وتكشف فى السنوات التى سبقت ١٨٨١م بقليل ـ رجال غرسوه عميقا فى البيئة السودانية .

من الجانب الآخر كان محمد أحمد المهدى فى عكفه على الاخذ من المجرى الصوفى العام الذى يملأ الوجدان الشعبى ، وفى المعاناة الصوفية التى كان يمر بها من يد قطب صوفى الى آخر لتأهيل نفسه لمواجهة الواقع الذى تردى الى انحطاط فى القيم الدينية ، قد صمم على رفع راية الزهد ، وتحكيم القرآن والسنة . تحت ضغط الفكر والواقع الآخذ فى الانهيار والتخثر عثر محمد أحمد المهدى على تصور « المهدى » . فالطريقة السمانية التى ترعرع فى مركزها بأم مرحى تحت الشيخ محمد شريف نور الدائم انحدرت الى السودان باشراف الشيخ أحمد الطيب البشير ، الذى أخذ الطريق على الشيخ عبدالكريم السمان بالمدينة المنورة ، والذى تتلمذ بدوره على السيد مصطفى البكرى وهو القائل: « أنا وزير المهدى فمن شاء منكم فليؤم الى ويهتدى » وقد تساءل رجل ـ حين لقى الشيخ مصطفى البكرى ربه ولم يشهد أوان المهدى ـ فأجاب محمد عبد الكريم السمان بأن الشيخ صادق فيما ذهب اليه لأن السلطان حين يبعث بجنده الى مكان ما يضع فى قيادتهم نفراً من أمرائه فيمهدون له الارض ، فيلحق بهم . فمن الامراء من ينتظره على قيد الحياة فيلاقيه ومنهم من يقتل . ويروى

(١) شـقير : ٣٧٩/٢

عن الشيخ عبدالكريم السمان قـــوله« أنا خاتمة الولاية المحمـــدية ومذهبى مذهب محى الدين وطريقتى قادرية » •ومحى الدين المقصود هو محى الـــدين ابــن العربــى • وقـــد توصـــل مكىشبيكه الى حقيقة وجود مؤلفات الشيخ محى الدين بن عربى فى متناول المهـــدىحين كان فى أممرحى مع أستاذه أو بعـــد ذلك بدليل الاشارات العديدة الى ابــنالعربى وخاصة كتابه المشهور «الفتوحات المكية » فى منشورات محمد أحمـــدالمهـــدى • وقـــد تثبـــت مكى شـــبيكه من ذلك بالرواية التى عثر عليها فى كتاب« أزاهير الرياض » للشيخ عبدالمحمـــود نور الدائم وفيها دليل على وجود هـــذاالكتاب فى أيدى متصوفة ذلك العصر[1] •

ومن مجموع الأحاديث والتصوراتالتى أثبتت بواسطة أقطاب الصوفية حول مسألة المهدى راح محمد أحمد المهـــدىيأخذ منها جميعا ما يناسب ظروف دعوته [illegible] المهدى من حيث نسبه وصفـــاته ومكان ظهوره وعلاماته ووزرائه بهدفأن يقتل فى المهد كل معارضة قد تقـــوم على عدم استيفائه لشروط المهـــدى .ولتخرج دعوته للناس فى شـــكل ينسجم مع تصورهم للمهـــدى ولتجـــذبهم الىمواقعها حماسة وتأييدا • لم يتقيد محمد أحمد بحرفية النصوص التى تشير الى أنمكان ظهور المهدى هو مكة أو المدينـــة أو جبل ماسة فى المغرب ، وانما توجـــهالى جبل قدير فى جبال النوبة بأمـــر من الرسول (صلعم) ليستقر فى موضع يقالله ماسة • ولم يتأكد لنا وجود موضـــع بهذا الاسم بجبل قدير • ونستنبط مـــنهنا أن محمد أحمد المهدى انما كانيهدف الى الالتصاق بالتقليد القديم حتى يفوتالفرصة على منازليه فى الـــرأى • وربط ذلك كله بهـــاتف من النبى (صعلم) •ولقد تعرض اسم محمد أحمد الى الحذف والاختصار الى «محمد» فحسبليواطىءاسم الرسول (صلعم) فيتحقـــق بذلك شرط من شروط المهدى وهو أن يواطىءاسمه اسم النبى عليه السلام • وفى مسألة النسب قال محمد أحمد المهدى بنسبتـــهالى الرسول (صلعم) : (فأبى حســـنى

---

(١) مذكرات عن المهـــدية لم تطبع لمكى شبيـــكه ، الفصل الاول: « نشاة محمد احمد وجوه الروحى : المرحـــلة الاولى » .

من جهة أبيه وأمي كذلك من جهة أمهـا وأبوها عباسي والعلم لله أن لي نسبة الى الحسين[1] . ليستوفى التقليد القائل بأن المهدى من عترة الرسول (صلعم). وكان فى التصور الراسخ أن على الخد الايمن للمهدى المنتظر خالا ، واستوفى محمد أحمد هـذا الشرط حين أخبره سيد الوجود عليه السلام بأن الله قد جعل على خده الأيمن خالا علامة للمهدية. وأضاف محمد أحمد الى العلامات التى خصه بها الله تعالى راية من نور تكون معه فى حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت الله بها أصحابه وينزل الرعب فى قلوب أعدائه[2] . وعلى كثرة ما ذكرت الرايات فى التقليد السائد حول المهدى لم تذكر ، فيما أعرف ، راية يحملها عزرائيل على وجه الخصوص . ولعل فى هذه الاضافة ما يكشف عن الظروف النوعية الخاصة لدعوة محمد أحمد المهدى فى السودان . وقد كان من الاعتقادات الشائعة أن المهدى المنتظر يعين لأتباعه المراتب ، وأنه يجعل لكل تابع عملا يوازى هذه المرتبة ، وعمل المهدى بهذه القاعدة . وقد صرح بأن أدنى أتباعه له مرتبة أكبر من مرتبة الشيخ عبدالقادر الجيلانى وهى مرتبة القطبية[3].

وجدير بنا أن نقف من بعد أن هيأ محمد أحمد المهدى نفسه للمهدية ، وبذل ما فى وسعه لمطابقة التقليد السائد حول المهدى فى أوصافه وأشراطه ، لنتدارس استفادة المهدى من الاخيلة والتصورات الراسخة فى الذهن الشعبى آنذاك لكسب الانصار ولجذب قطاعات واسعة من المجتمع الى مواقع الثورة . من جملة تلك التصورات تبرز فى المقدمة الرؤيا المعروفة بالحضرة النبوية حيث يجتمع النبى (صلعم) بأقطاب الاولياء ــ الاحياء منهم والاموات ــ مع الخضر عليه السلام لتأمل أمر الكون والديانة . وقد استفاد المهدى من هذا التصور للحضرة النبوية ، وعمل أن تضم الحضرات النبوية التى تناقش مسألة اختياره للمهدية نفرا من أقطاب الصوفية ــ السودانيين منهم وغير السودانيين ــ الذين لهم فى قلوب الاهلين تجلة واحترام وتقدير . وكان المهدى ، فى الحضرات

(١) منشورات الامام المهدى : ١٤/١
(٢) نفسه : ١١/١
(٣) محمد ابراهيم أبوسليم : ص ٤

النبوية ، يخاطب فى جمهور السودانيين ولاءاتهم الموزعة على شيوخ الطرق لتتحد من تحت رايته ، ويصور مباركة أولئك الشيوخ له ليستيقن أنصارهم من مهديته . ولقد سبق محمد أحمد المهدى فى هذا السبيل الشيخ بدوى أبودليق على عصر الفونج حين سعى لتوحيد الطريقة القادرية بعد انقسامها الى شعبة الهميم ، وشعبة الصادقاب ، وشعبة ادريس بن الارباب . كان الشيخ بدوى أبودليق خليفة لشعبة الهميم فتزوج بعائشة خليفة الصادقاب ، وبذل جهده للتخلص من الشيخ حمد بن الشيخ ادريس خليفة شعبة الشيخ ادريس بن الارباب ، فأثار غبارا كثيفا حول نجل الشيخ حمد لينتقص من قدرته على تولى الخلافة ، ونسج من ثم قصة حول حضرة من الاولياء التقى فيها الشيخ عبدالقادر، والشيخ ادريس، والشيخ حسن، والشيخ عبد الرازق ، والشيخ الزين ــ استاذ الشيخ بدوى أبودليق فى العلم ــ فأجلسوه على كرسى من الذهب ، فأمر الشيخ عبدالقادر الشيخ ادريس أن يعطى الشيخ بدوى تاره ، وأمر الشيخ حسن أن يعطيه سيف ولايته ، ثم أشار من بعد ذلك للحاضرين لمباركته فبارك له الجميع ذلك[1] . فلتأمين خلافة الطريقة القادرية ولضم شمل الطريقة القادرية بزعامته ، نسج الشيخ بدوى أبودليق هذه الرؤيا كسلاح يجرد به المنافسين من اجماع أقطاب الطريقة القادرية عليهم ، وليؤكد أن البيعة انعقدت له بواسطة أولئك الاقطاب . مسعى شبيها بهذا ، أو مستندا على عناصره الاولية على الاقل، كان دأب محمد أحمد المهدى لجذب ولاءات السودانيين المتعددة المسالك ، وبلورتها فى مجرى الثورة الرئيسى . ففى منشوره الى الشيخ محمد الطيب البصير ينصب المهدى حضرة نبوية ، ويجرى حوارا بين الحضور من السلف الصالح خلاصته خلوص تأييدهم و يقينهم ومباركتهم لمهدية محمد أحمد المهدى . فى تلك الحضرة يقول النبى (صلعم) للفقيه عيسى ان شيخك هو المهدى فيجيب بأنه مؤمن بذلك فيعلق النبى (صلعم) بأن من لم يصدق بمهديته كفر بالله ورسوله . وكرر ذلك ثلاثا . ويخاطب الشيخ (الخليفة) عبد الله الجمع قائلا،

(١) حسن محمد الفاتح قريب الله : ص ١٩٥ ــ ١٩٧

إنه مؤمن بالمهدى ، ولكن لم يصدق بهالناس بعد ، فيتكلم الشيخ الطيب قائلا بأن محمد أحمد ، حين ولادته ، عـرفمهديته أهل الباطن والحقيقة ، فلما أتم أربعين يوما عرفته الجمادات والنباتات•ثم يعظ الشيخ الطيب المهـدى بآداب الطريقة والمهدية ، وبما ينبغى أن تـكونعليه هيئتهم حين يدخلون قدير • وينضم الشيخ التوم لركب الموقنين بمهديـةمحمد أحمد ، ويقرأ الشيخ البصير على محمد أحمد السلام بالمهـدية ، وكذلكيفعل الشيخ القرشى ، ثم يمـدانه بنصائحهما • ويتدخل الشيخ (الخليفة)عبد الله من جديد ليقول بانكار النـاس لمهدية محمد أحمـد فيؤكد له الشيـخالقرشى صحة مهديته ، لأن الشيخ الطيب، قبل مماته ، أفضى اليه بأنه يدرك المهدىويلاقيه ، وانه شيخه بعينه • ويحـدث الشيخ (الخليفة) عبد الله النبى (صلعم)والشيخ عبدالقادر الجيلانى عن انـكار الناس للبس الجبة ، فيرد النبى (صلعم)عليه بما يرضيه ، ثم يأمر جبريل والنبى الخضر بأن يتبعا المهـدى ألا يفارقاه •ويذكر المهدى فى المنشور وعد النبى له بالبيعة فى مكة[1] • ففى مثل هذه الحضرةالنبوية ــ وهى تعبير وتصور مألوف فى القاموس والذهن الشعبيين ــ يستنجـدمحمد أحمد المهدى بالسلف الصـالح ، وأقطاب الصوفية ليعلنوا فى مجمعهـم ،وبحضـور النبى (صلعم) ، مباركتهم للمهدى ليتخذ من ذلك شهادة يعرضهـاعلى أحبابهم وأنصارهم ومريديهم ليأمن عدم انفجار التناقض بين ولائهم القـديمالراسخ والولاء الجديد الذى يدعـوهم اليه ، على الاقل ، فى هذه المرحلة الاولىمن مراحل التجميع والتعبئة •

ولعل فى الكرامات والاشارات التىصحبت مسيرة الثـورة المهـدية ما يزيح النقاب عن طبيعة تكوين الذهن الشعبىالقائمة على الانتصار للدليل الصـوفى ، وعن مناخه الذى تملاه الأخيلة ، والرؤى،واقتحامه الشاذ من الحوادث بالتـأويل واعتباره كرامات للاولياء والصالحـين •فقد ظهر فى ٢٨ سبتمبر ١٨٨٢م نجـم ذو ذنب كبير فى سماء السودان امتـدكشراع السفينة • وكان يطلع كل يـوم قبيل الفجر ، ويتمدد حتى يخفيه نـور الشمس ، وبقى على ذلكأياماه وفىاعتقاد

(١) شـقير : ١٢٤/٣ ـ ١٢٦

جمهور السودانيين أن حدثا كهذا ينذر بشؤم على البلاد وقد حسب أنصار المهدى ذلك شؤما كبيرا على الحكومة [1]•وحين انتصر المهدى على حملة راشد شاع أن المهدى يحارب بسيف القدرة ، وأنه يحول رصاص العساكر الى ماء فلا يضر بانصاره ، وان النار خرجت من حراب الانصار وسيوفهم فأحرقت أجسام العساكر وروى بعضهم أنهم رأوا بأعينهم اسم المهدى مكتوبا على ورق الشجر وبيض الطيور البرية [2]• وفى خطاب محمد احمد المهدى للشلالى نجد أثرا من هذا الاعتقاد السائد حيث يقول (وأيضا قدشاهد جمع من الاخوان التهاب النار فى أعضاء العساكر المقتولين جهارا تعجيلا لعقوبتهم واظهارا لحقيقتهم [3]) • وقد تحدث الناس عن محاولة لإغتيال المهدى بواسطة عبد الله ود ابراهيم • وقد عزى فشلها ــ فى رواية ــ الى أن رصاص مسدسه لم ينطلق ، وفى رواية افتضاح سرها للمهدى قبل تنفيذها • وفى مضمون الكشف والتنبؤ شاع عن المهدى ان النبى (صلعم) قد ظهر له وأخبره بأمر التقرير الذى بعث به محمد سعيد باشا والرؤساء المعتقلون فى الابيض الى عبد القادر باشا ذكروا فيه الاسباب التى حملتهم على التسليم وختموا عليه ، ولكن يقال إن يوسف منصور وكيل بوليس الابيض خاف أن يقع التقرير فى يد المهدى فينكل بهم فأفضى للمهدى بأمر التقرير • [5]

وفى مواجهة دعوى العلماء بأن محمد أحمد المهدى خارج على السلطان الذى لم يَكفر أو يكَفّر أحدا ، كان المهدى ينمى نظريته الخاصة عن مسألة السلطان والخروج عليه فى اطار منهجه القائم على الكشف الصوفى • فالمهدى يبرر خروجه على السلطان على أسس تضرب على وتر المظالم العميقة التى يحسها الأهلون . فالاتراك ، فى نظره ،قد بسط الله لهم النعم فظنوا أن الملك لهم فخالفوا الرسل والانبياء ، وحكموا بغيرما أنزل الله ، وأساءوا الى الدين فخذلهم الله فنالت ثورته منهم وانقلب أمرهم شر منقلب • ويغلظ المهدى على الذين لم يستجيبوا الى نداء الهجرة ويذكرهم(أن الترك كانوا يسحبون رجالكم

---

(١) شقير : ١٦١/٢
(٢) نفسه : ١٣٢/٢
(٣) مكى شبيكه (١٩٦٤) : ص ٢٣٢
(٤) نفسه (١٩٦٤) : ص ٢٣١
(٥) شقير : ١٦٨/٢ ــ ١٦٩

بالسلاسل ويسجنونهم في القيودويأسرون نساءكم وأولادكم ويقتلون النفس التى حرمها الله بغير حقها وكل ذلك لاجل الجزية التى لم يأمر الله بها ولا رسوله ومع ذلك لا يرحمون صغيركم ولا يوقرون كبيركم كيف نسيتم هذا وتخلفتم عن الجهاد ولم تأخذكم الغيرة فى دين الله ولا فى انتهاك محارمه فما جوابكم عند الله حيث لم تجيبوا داعى الله ومع اهانة الترك لكم وذلهم اليكم كنتم سامعين طايعين منقادين لامرهم حيث ما أمروا[1]) . فالطاعة للسلطان الجائر ، فى تصور المهدى ، مذلة وخذلان للدين وإستخذاء أمام تيارات الافساد والظلم والانحراف . ويقوم الركن الآخر من نظريته باخبار من سيد الوجود (صلعم) بأن الاتراك كفار[2] وان طاعتهم بعد (امام الدين كفر وضلال لانهم كفار مخالفون لحدود الله تعالى وساعون فى اطفاء نوره فان تعرضوا عليكم فقاتلوهم فقد جازكم الله قتالهم ووعدكم بالنصر ما دامت نيتكم الله وبالله قال تعالى اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ولينصرن الله من ينصره ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم الا ان حزب الله هم الغالبون)[3] إذاً فقد سوغ محمد أحمد لنفسه الخروج على السلطان على أساسين أولهما : خروج الاتراك على الدين واستبدادهم بالامر وحكمهم بغير شريعة الله ورسوله ، مما أرهق الاهلين وأضر بهم أبلغ الضرر ،وثانيهما فى اعتراضهم سبيل دعوته كامام، ومحاولتهم اطفاء نور الله الذى يعمل على بثه وتنوير الحياة به . والشيء الراسخ عنده ألا ولاء ولا طاعة لأحد من بعد ظهور الامام . ومن جديد ، وفى مضمار العلاقة بين السلطان والرعية ، يأخذ المهدى زمام المبادأة بنظرية تخاطب السخط الناجم عن مظالم الأتراك ، وتزوده بالتبرير للثورة على حين كانت جهود العلماء تسعى الى تثبيط همة ذلك السخط وصب الماء البارد عليه وتزيين النظام التركى المصرى فى وقت تكشفت لقطاعات الجمهور الواسعة مساوئه ، ووحشيته ، ووقعه الثقيل الباهظ عليهم .

---

(١) منشورات الامام المهدى : ١٦/١
(٢) نفسه : ٣١/٢
(٣) نفسه : ١٦/٢

فى المناظرة الفكرية والحوار الـذى اشتبك فيه المهدى مع العلماء كان المهدى على علم مسبق بطائفة العلماء كعقبـة تنفجر فى طريقه بنص ابن العربى القـائل بأن أعداء المهدى مقلدة العلماء وخاصـة المسلمين ، فلم يفاجأ بهم كأعداء فكريـين وقد دفعه ذلك الى أن يعد لهم العـدة فسعى لاستيفاء شروط وأوصاف المهدى لكى ينزع منهم الحجة ، ويقلل مما قـد يؤخذ عليـه فى دعايتهم لشـل حـركته وصرف الناس عنه . وبرغم معرفته ويقينه وتوقعه لمقاومة طائفة العلمـاء له فقـد كاتبهم ، وكاتب على الأخص ، الشـيخ الامين الضرير ، مميز علمـاء السودان ، للانخراط فى سلك المهدية . وحـين رأى ازورارهم وإعراضهم عنه كان المهـدى يحس بالميل ليوصد باب الحوار معهم . ففى غمرة حرب النصوص والتوقيت التى تشنها عليه طائفة العلماء ، وفى وقت كان المهدى قد حدد فيه موقفـه سلفـا من النصوص إذ أثار نفر من انصاره نصوصا حول مسألة تقسيم الغنيمة فنهاهم عـن ذلك قائلا (ولا تعرضون لى بنصوصـكم وعلومكم عن المتقدمين فلكل وقت ومقام حال ولكم زمان وأوان رجال[1]) كما حدد موقفه من قضية توقيت ظهور المهـدى بقوله (ومعلوم ان الامور تجرى على علم الله وان الله ينسخ ما يشاء وعلم العبادات لا يزن فى علم الله نقطة بالنسبة الى بحار الدنيا ولله المثل الاعلى كما قـال الخضر لموسى عليه السلام ولا سيما علم المهدى كعلم الساعة والنبى صلى الله عليه وسلم لم يوقت ولم يعين وقال صلى الله عليـه وسلم كذب الوقاتون وفيما ذكـره محى الدين بن العربى فى تفسـيره فى هـذا المعنى كفاية وقال الشيخ أحمد بن ادريس كذبت فى المهدى أربع عشر نسخة مـن نسخ أهل الله وقال سيخرج من جهـة لا يعرفونها وعلى حـالة ينكرونها [2]) . ليس هذا فحسب بل وقد حدد موقفـه من طائفة العلماء التى زودته نظـرية المهدى على مستـوى عمومياتها باليقين حول عدائها ومقاومتها لدعوى المهـدى المنتظر . حين لمس محمد أحمد المهدى ، ذلك العداء فى التطبيق والممارسة العلمية كان أميل الى أن يوصد باب النقـاش والحوار والمناظرة . لقد سأل المهـدى نفسه هل يرد على خطـاب وصـله من

---

(١) منشورات الامام المهدى : ٢٢/١

(٢) نفســه : ١/٥ ـ ٦

الشيخ الامين الضرير أم لا يرد ، وانتهى بالرد عليه (ولكن قد علمت ان الهداية ليست من كثرة البيـان وانك ان امعنت النظر فى تصديقك بمهديتى وجدت جواب ذلك أوضح من الشمس[1]) وكان محمـد أحمد قد كتب من قبل الى الشيخ الامين الضرير يحكى له عن اجتماع النبى (صلعم) بأرواح الذين أنكروا مهديته من الاولياء والعارفين والعلماء العاملين ، وعن توبيخه لهم ، وعن عده لهم للنعم الدينية والدنيوية والظاهرية والباطنية التى أنعم الله تعالى عليهم بها ، وعن جحـودهم وشحهم فى الشكر ، وعن أن المهدية قد طوق بهـا محمد أحمد لانه قد شكر الله ، فـولاه عليهم ، فمالهم ينكرون ويحاجون ! وكيف طلب أولئك النفر من العلماء والاوليـاء العفو منه بتوجيه من الرسول (صلعم) ويختم منشوره قائلا (فمن له سعـادة صدق يأتى المهدى المنتظر ومن جعل الله له عوارض تصده عن التصديق بالمهدية وقد دلت كرامات على صدق اخبارى عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ولـكن لا تنفـع الكرامات والآيات من أراد الله شقاوته[2]) . لقد تبين للمهدى من خـلال هذه المناظرة الخطين المتوازيين اللـذين يقف عليهما هو والعلماء : بين منهـج فى المعرفة قائم على الكشف ، وآخر قـائم على الظاهر ، ومسلكين فى الحياة ، مسلك ينحو للزهد وللانتصار للاسلام والمسلمين ، ومسلك يلتصق بجهاز الحكم القـائم ويغرق فى جاهه ورتبه وماله[3] . وافضى به هذا التبيئن الى تركيز جهوده والكف عن بعثرتها فى اقنـاع العلمـاء وكسب انحيازهم اليه .

فكما كان الواقع الاجتماعى لجمهور السودانيين فى الفترة ما قبل ١٨٨١م يبشر بالثورة ، ويحمل نذرها وسماتها وتطلعاتها فى جنباته واحشائه مما لا يجدى معـه وعظ العلماء ، أو استنجاد الادارة التركية المصرية بهم للمزيد من تسويغ حكمهـا واستمراره . وكان ذلك يدمغ جهـود العلماء بالفشل منذ الوهلة الاولى . كذلك

---

(١) منشورات الامام المهدى : ٣٦/٢

(٢) نفسـه : ٢٣/٢ ـ ٢٤

(٣) كان المهدى يحذر العلماء من أن تحجب رئاساتهم وجاههم وحب متاع الحياة أفقهم من رؤية حقيقـة رسالته ويضرب لذلك مثلا بعلماء اليهود والنصارى الذين توقعوا النبى « صلعم » فلما جاءهم كفروا به خوفا من مفارقة الجاه والرئاسة . انظـر منشورات الامام المهدى ٩٦/٢ ـ ٩٧ مثلا .

كان الذهن والوجدان الشعبيين ، بفضل التربية التى منحها لهما ذلك اللون الخاص من الاسلام الذى جمع بين التصــــوف والعلم فى ظل الفونج والاتراك ، قد انتهيا الى تصميم شديد الحساسية والاستجابة للمعرفة الالهامية القائمة على الــكشف والاستشراق والرؤيا والكرامات ، وظلا بمنــأى عن تأثير النصوص والتعامــل والاحتجاج بها الذى هو قوام المدرســة السنية الفقهية . إذا فالمهدى كان يخاطب الجمهور السودانى بأسلوب يضرب على وتر مسبغتهم ويســتثير أذهانهم ويلهب [illegible] الادارء

يخاطبونه بمنطق بارد جاف لم يألفــه دفاعا عن نظام يورثهم الفاقة والتعــذيب والــذلة .

الملاحـــــق

ملحق رقم (١)

رسالة السيد احمد الازهرى في تكذيب دعوى محمد احمد المهدى

•

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خص من اصطفاه بالهداية وهدى من وفقه الى سلوك سبيل الرشد بمحض العناية والصلاة والسلام على حبيبه ورسوله الذى انزل عليه كتابه الذى لم يفرط فيه من شىء وعلى آله واصحابه الناهجين منهاجه فى تبيين الرشد من الغىّ .

« اما بعد فأقول وانا الذى من كل حول وقوة برى الفقير اليه تعالى « السيد احمد المعروف بالازهرى ابن الشيخ اسماعيل الولى الكردوفانى » افاض الله تعالى علىّ وعلى المسلمين من فيض مدده الرحمانى . انه لما كانت النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم من الدين وقدورد ذلك فى الاحاديث الصحيحة عن سيد المرسلين وخاتم النبيين وورد عنه أيضا من لم ينصح فى ديننا هذا فليس منا أى ليس تابعا لسنتنا وورد عنه أيضا من لم ينصح فى ديننا هذا فبيعته منقوضة وغير ذلك مما لا يمكننا ايراده هنا عنّ لى ان اتدارك نفسى والمسلمين من اتباع الوساوس الشيطانية واقتحام سبيل المهالك بالتسويلات النفسانية وذلك لما تحقق عندى من عموم البلوى التى انتشرت ببلاد السودان حتى ضاعت بسببها الالوف المكررة من دماء المسلمين واموالهم خصوصا فى جهات سنار وجهات كردوفان وانجبرت الحكومة العثمانية على بذل التكاليف لتحصيل العَدد والعُدد غيرة على الدين والاسلام واهله لاجل الذب وردع المفسدين بسطوة الدولة وقوة المدد . وحيث ان شتيت القبائل من العربان وغيرهم اغلبهم عوام وقد قام بأفكار ارباب العقول الضعيفة ما قام بهامن الاوهام نظرا لما سمعوه من دعوى المهدى التى قام بها محمد أحمد وصدور مكاتبات منه لبعض من يظن انه يعتمدها وتكون له كالمستند وقد هيجت تلك الدعوى وما اشتملت عليه من المكاتبات فتنة عظيمة بين المسلمين حتى صار البعض منهم يقتل بعضا وينهب ماله من غير حق الاسلام وغاب عنهم ماحذر الشارع (صلعم) وصرح بأن ما كان مماثلا لما

ارتكبوه لايشك فيه بأنه حرام . وكان قبل خروجي من محل وطني كردوفان قد بلغني ان مدعي المهدية المذكور قدخاطبني بكتاب وكنت حريصا على وجدانه والنظر لما اشتمل عليه من الخطاب ولكني لم اجده ولم اجد احدا يكيفه لي لكي ابني عليه مخاطبة تشتمل على ما لابد منه من النصيحة وأوضح فيها ما يحتاج اليه من النصوص الصريحة رجاء مني بأنها ان وصلت اليه وتليت بين يديه فانه لايسعه الا الرجوع الى الحق ومقابلة أولى الأمر بالسمع والطاعة وتسكين هذه الفتنة التي هاجت بين الخلق وما كنت أظن اشتداد هذه الفتنة يبلغ هذه الغاية حتى مررت بجزيرة الخرطوم قاصدا التوجه الى مصر المحروسة وبعد وصولي الى الخرطوم تراكمت علىّ المخاطبات بوصول تلك البلوى والفتنة الى ما ليس له نهاية. ثم لما حضر صاحب الجلالة والشهامة والرأى السديد والتدبير الكامل والبسالة والفخامة ناظر الديوان وحكمدار عموم الاقاليم السودانية « سعادتلو عبد القادر باشا » بلغه الله تعالى غاية الامنية بمركز الحكومة الذى هو في الخرطوم وبسديد رأيه دبّر الامور ورتب الترتيبات ونشر راية الامن واجتهد في نشر ما يكون به اصلاح العموم ومن الجملة فان الواجب علينا القيام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاجتهاد في بذل النصيحة ودرء الشبه التي قامت بأفكار من ليس لهم قريحة بايراد الادلة المأخوذة عن الاحاديث الصريحة واقوال اهل العلم المعتمد على أقوالهم الصحيحة عسى أن يكون في ذلك نفع للعموم وردع للمفسدين بما يكون لهم من الدين معلوم وقد ألفت هذه النصيحة التي سميتها « النصيحة العامة لاهل الاسلام عن مخالفة الحكام والخروج عن طاعة الامام » وعند شروعي في ما قصدت بعون من عليه اعتمدت قلت :

« أعلموا أيها الاخوان في الاسلام الراغبون فيما عند الله تعالى من الكرامة والانعام ان الله سبحانه وتعالى بيّن لعباده طريق الضلالة وطريق الهدى وانه مراقب لهم في جميع أحوالهم وأفعالهم ولم يتركهم سدى واختار من عباده أناسا أولاهم اسرار المملكة وأمر بطاعتهم وجعل مخالفتهم مؤدية الى الوبال والتهلكة قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بالسمع والطاعة وان ولى عليكم عبد حبشي . وقد نص العلماء على ان الخروج عن طاعة الامام حرام . وقال عليه الصلاة والسلام من

أطاع أميرى فقد اطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى • وقد نص العلماء أيضا على ان الامام لا يعزل ولا تنبذ بيعتــه ولا يطرح عهده الا اذا أمر أحدا ان يكفر أو كفر هو أى الامــام واما اذا لم يكفر فانه لا يعزل عن الامامة ولا ينبذ عهــده ولا تطرح بيعته ولو زالت عنه العــدالة واتصف بالفسق كما عليه أهل التحقيق• وحيــث علمتــم ما أوردتــه لكم مــن النصوص من ان طــاعة الامــام واجبة عليكم وان خروجكم عن طاعته حــرام عليكم وانه لا يصح لكم نبذ عهده وطرح بيعته ولو اتصف بالفسق مالم يكفر فكيف يسوغ لكم الاستماع لما نقل عن محمد احمد من دعوى المهدية والاغترار بمــا ينقل عنه من الاقوال فى المخاطبات مــع ان دعواه المهدية ليس له دليل عقلى ولا نقلى يوافقه على صدقه فيها وها انى أذكر لكم ادلة تناقضه فى دعواه المذكورة :

أولها : ان محمد احمــد المنقول عنه انه مدعى المهدوية مولده ببلاد الســودان وذلك معروف متواتر عند جميع من يعرفه من أهل عصره فضلا عــن كونهم يعرفون أباه وأمه وانهمــا مما يطلق عليهمــا اسم الدناقلة ولو ان ذلك نسبة الى البلد ولم ينقل عن احد انه توجه الى مكــة ولا الى المدينة • والذى ذكره العــالم المحــدث شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمى نزيل مكة فى كتابه الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة نقلا عن الامام عــلى كرم الله وجهه انه قــال مــولد المهــدى بالمدينة •

ثانيها : ان المحققين من العلماء ذكروا من الحديث الذى أخرجه أبو نعيم ليبعثن الله رجلا من عترتى افرق الثنــايا اجــلى الجبهة أى منحسر الشعر عن جبهته •ومما أخرجه الرويانى وغيرهما المهدى من ولدى وجهه كالكوكب الدرى اللون لون عربى والجسم جسم اسرائيلى أى طويل • وورد أيضا فى حليته انه شاب أكحل العينين أزج الحاجبين اقنى الانف كث اللحية على خده الايمن خال ا هـ فهذه الصفات المذكورة فى صفات المهدى مفقودة فى محمد احمــد المذكور فانه حضر عندنــا بكردوفان فى مدينة الابيض مركز المديرية وحضر عندنا بجامعنا زائرا لنا وجلس مجلسنــا ونحن نقرأ وقتئذ درس الحــديث فى الشمــائل الترمذية وهو بالمجلس الى ان فرغنا مــن الدرس وانه زارنا وطلب منا الدعاء وتوجه الى منــزله ولم نر فيــه شيئا مــن تلك

الاوصاف بل انما هو عند جلوسه بمجلسنا لم نر منه الا الرزانة والخضوع والصمت وكان ذلك فى الربيع الاول ثم رجع الى جزيرة أبا واقام فيها أشهرا . ثم بلغنا انه تفوه بتلك الدعوة وقيل انه قال انه له خال فى خده الايمن فان ثبت ذلك مع عدم ثبوت بقية الاوصاف لم يفد شيئا .

ثالثها : أن الذى ذكره العلماء المحققون ان ظهور المهدى بعد ان يكسف القمر فى أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس فى النصف منه ومثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض ومن المعلوم ان محمد أحمد المذكور تفوه فيما قيل بتلك الدعوى بجزيرة أبا فى شهر شعبان وان رمضان قدم ولم ينقل عن أحد كسوف القمر فى أول ليلة منه ولا كسوف الشمس فى النصف منه وذلك دليل واضح على ان المهدية التى ادعاها لم يظهر فيها ما يدل على دعواه .

رابعها : انه نقل عن الامام المحقق الجامع بين الحقيقة والشريعة الشيخ الشعرانى أنه قال فى مختصره روى أنه يخرج فى آخر الزمان رجل يقال له المهدى من أقصى المغرب يمشى النصر بين يديه اربعين ميلا راياته بيض وصفر فيها رقوم وفيها اسم الله الاعظم مكتوب فيها فلا تهزم له راية . وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب فيبعث هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر أولئك حزب الله هم المفلحون اهـ وقد علمت ان محمد احمد المذكور لم ينقل عن احد انه رآه توجه الى أقصى المغرب ولم يكن بجبل المغرب بالموضع الذى يقال له ماسة بل ان المسموع الآن انه بجبل قدير من جبال الصعيد وان قال قائل بان جبل قدير هو الذى يقال له ماسة يرد عليه انه ليس بجبل قدير بحر له ساحل ولم يحصل منه بعث رايات بالصفات المذكورة وان من بيدهم الرايات الزاعمين أنهم وزراء له قد أتضح لكل أحد خذلهم وقتلهم على يد عساكر الحكومة ولم يأخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر .

خامسها : ان شهاب الدين احمد بن حجر قد ذكر مما اخرجه ابن عساكر عن على كرم الله وجهه اذا قام قائم آل محمد (صلعم) جمع الله أهل المشرق وأهل المغرب فاما الرفقاء فمن أهل الكوفة واما الابدال فمن أهل الشام ثم قال وصح انه

(صلعم) قال يكون اختـلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هـاربا الى مكة فيأتيه ناس من أهل مكـة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقـام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهـم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدل أهل الشام وعصائب اهـل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثـا فيظهـرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لـم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمـل فى الناس بسنة نبيهم (صلعم) اهـ • ولايخفى على العاقل ان الامام الذى هو خليفـة رسول الله (صلعم) موجـود الآن فلـم يمت ولم يحصل اختلاف فى الخـلافة حتى يدعيها احد فدعوى محمد احمد بالخلافـة الكبرى والمهدوية مع وجود الخليفة وطلبه من الناس مبايعة فيه مخالفة لنفس الحديث المتقدم فضلا عن كون نبذ عهد الخليفـة الموجود وطرح بيعته مع انه لم يكفر لايجوز شرعا • ومما ذكرناه يعلم رد جميع الادلة التى تنقل عنه بانه يستدل بها على ايجاب طاعته والزام موافقته لانه لم تثبت اماميـة مع وجود الامام فجميع الآيات القرآنيـة والاحاديث النبوية المعزوة اليه بانـه يستدل بها مسوقة فى غير موضوعها •

سادسها : ان الذى رواه الامام أحمد وغيره المهدى منا اهل البيت يصلحه الله فى ليلـة ا هـ والمعروف عند جميـع المعاصرين لمحمد احمد المذكور انه قـد سلك الطريقة الخلوتية على يد الشـيخ القرشى وعلى يد غيره وحضر مجالس العلم عند جماعة فعلى تقدير اصلاحه من المشائخ المذكورين فانه لايوافق ظاهـر مارواه الامام احمد فضلا عن كون الامام المهدى المنتظر من السودان ولم يعهد له شيـخ ارشده بسلوك طريقة مخصوصة •

سابعها : ان الحاكم قـد روى فى صحيحه يحل بأمتى فى آخر الزمان بـلاء شديد من سلاطينهم لم يسمع بلاء اشـد منه حتى لايجد الرجل ملجأ فيبعـث الله رجلا من عترتى اهـل بيتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يحبـه ساكن الارض وساكن السماء وترسـل السماء قطرها وتخرج الارض نباتهـا لاتمسك فيها شيئا اهـ والمشـاهد فى حكومة الدولة العثمانية لم يحصل مـن حكامها البلاء الذى ذكرناه حتى يخـرج المهدى والمشاهد الآن ان كل من وقـع فى قبضة محمد احمـد مدعى المهـدية يسخط عليه لانه يقتل رجاله وينهب ماله

فأين الاتفاق من ساكنى الارض عـلى محبته فضلا عن الظلم والجور الذى حصل من بعض الناس لبعض وأين العدل والقسط .

ثامنها : ان الامام الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى الصوفى قال فى فتوحاته المكية قد استوزر الله للمهدى طائفة خبا بهم الله تعالى فى مكنون غيبة اطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وماهو الا أمر الله فى عباده فلا يفعل المهدى شيئا الا بمشورتهم وهم على اقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا الله مادعاهم اليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربى لكنهم لايتكلمون الا بالعربية لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو اخص الوزراء اهـ . فعلم مما ذكره هذا الامام ان الجانين على انفسهم هم الذين عرضوا أنفسهم للتلف حتى طهر تعالى الارض منهم بسيف الحكومة كان ادعاؤهم الوزارة مجرد تسويلات نفسية وان ثبت ان محمد أحمد قد خاطبهم بالوزارة المذكورة أو اقرهم عليها فذلك دليل على عدم دعواه المهدية .

تاسعها : قال بعض ائمة التحقيق وجاء فى بعض الروايات انه ينادى عند ظهوره فوق رأسه ملك هذا المهدى خليفة الله فاتبعوه فتقبل عليه الناس ويشربون حبه وانه يملك الارض شرقها وغربها وان الذين يبايعونه اولا بين الركن والمقام بعدد اهل بدر ثم تأتيه ابدال الشام ونجباء مصر وعصائب اهل الشرق واشباههم ويبعث الله له جيشا من خراسان برايات سود نصرة له ثم يتوجهون الى الشام و فى رواية الى الكوفة والجمع ممكن وان الله تعالى يؤيده بثلاثة آلاف من الملائكة وان أهل الكهف من اعوانه . فالذى عليه الناس الآن من تمنيهم ظفر الحكومة بمحمد أحمد ونصرتها عليه لازالة المفاسد التى حدثت بأسباب ادعائه هذه الدعوى ينافى نداء الملك واشراب محبته فى قلوب الناس .

عاشرها : قد ورد ان الكنوز تفتح فى زمن المهدى وانه يضع الجزية ويقتل من لم يسلم واجابوا بأن اتصاف سيدنا عيسى بذلك لاينافى اتصاف المهدى بأن كلا منهما امام متبع ومقرر لشريعة رسول الله (صلعم) وحيث ان الكنوز تفتح فى زمانه فلا نفع لاخذ الجزية حينئذ حتى يشرع اخذها لان الوسيلة اذا لم يترتب

عليها مقصدها فلا تشـــرع • وورد فى رواية للترمذى ان الرجل يجىء اليـــه فيقول يامهدى اعطنى فيحثى له فى ثوبـــه ما استطاع ان يحمله • واخرج احمـــد ومسلم يكون فى آخر الزمان خليفة يحثى المال حثيا ولا يعده عدا • واخرج احمـــد الماوردى انه (صلعم) قال أبشروا بالمهدى رجل من قريش مـــن عترتى يخرج فى اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ويرضى عنه ساكن الارض والسماء ويقتسم المال صحاحا بالسوية ويملأ قلوب امة محمد غنى ويسعهم عدله حتى ان يأمر مناديـــا فينادى من له حاجة التى فما يأتيه احـــد الا رجل واحد فيأتيه فيسأله فيقول ائت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول انـــا رسول المهدى اليك تعطينى مالا فيقـــول احث فيحثى ما لا يستطيع ان يحملـــه فيلقى حتى يكون قـــدر ما يستطيع ان يحمله فيخرج به فيندم فيقول انا كنـــت اجشع أمة محمد نفســـا كلهم دعى الى هذا المال فتركه غيرى فيرده عليه فيقـــول انا لا نقبل شيئا اعطيناه اهـ • فمما ذكرناه فى سابع الادلة وماذكرناه هنا يتضح لكل عاقل ان الامر الآن بالعكس فأين ارسال السماء قطرها واين اخراج الارض نباتها واين غنى القلوب واين اخراج الكنـــوز وأين حثى المال وأين فيضانه بل ان الامر الآن لم تشاهد الا شدته من قلة الامطار وغلاء الاسعار وتكالب الناس فى الدنيـــا حتى أن بعضهم صار يقتل بعضا لاجـــل اخذ ماله وبهذا يتضح لكل عاقل ان هذا الزمن ليس زمن الامام المهدى •

حادى عشر : قال شهـــاب الديـــن الامام احمد بن حجر قال ابو الحســـين الابرى قد تواترت الاخبار واستفاضت بكثـــرة رواتها عن المصـــطفى (صلعم) بخروجه وانه من أهل بيته وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلا وانه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه افضل الصـــلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب له بأرض فلسطين وانه يؤم هذه الامـــة ويصلى عيسى خلفه اهـ وما ذكروه مـــن ان المهدى يصـــلى بعيسى هو الذى دلت عليه الاحاديث كما علمت اهـ وقال سيدى محى الدين بن عربى الصـــوفى الحاتمـــى الطائى الاندلسى فى كتابه بلغة الغـــواص فى مبحث سيدنا عيسى عليه السلام وتمام ملكه موقوف على ظهور المهدى وبظهوره يعم النداء وينفتح فم الاحاطة ويســـمع الرجل من شراك نعله وعذبة سوطـــه ويخبره فخذه بما عمله اهل بيته من بعده وتدعوهم الاحجار والاشجار لليهـــود

ويفعلون بالقول ما يفعله غيرهم بالفعل فيفتحون القسطنطينية بالتسبيح والتقديس اهـ . فأين ماذكره هؤلاء المحققون من حال هذا الوقت ودعوى محمد احمد للمهدية فكيف يليق بعاقل تصديقه فيها .

وأما ما نقل عنه بأنه ادعى انه مأمور من رسول الله (صلعم) وانه مصرح فى مكاتباته بذلك فان حاله لايخلو اما انيكون رأى رسول الله (صلعم) فى المنام وامره بذلك فان صح ذلك فان امر رسول الله (صلعم) له فى المنام بذلك لايصح له العمل به حيث كان يخالف ظاهر الشرع من الخروج عن طاعة الامام ونبذ عهده وطرح بيعته فضلا عن تأدية ذلك الى سفك دماء المسلمين وتلف اموالهم بغير حق الاسلام وقد نص الفقهاء بأن الرجل اذا رأى رسول الله (صلعم) فى المنام واخبره بطلاق زوجته فانه تجوز له معاشرتها معاشرة الازواج ولاتحرم عليه وذلك لعدم ضبط النائم وان كان الشيطان لايتمثل برسول الله (صلعم) فى النوم . واما ان يكون ذلك يقظة بطريق الكشف فان كان بطريق الكشف فانه لايصح له أيضا ان يعمل به حيث انه مخالف لظاهر الشرع وقد نص اكابر العلماء على ان الولى يناط به حكم الظاهر فكيف وانه ان ارتكب امرا مخالفا لظاهر الشرع يتبع فيه خصوصا ان أدى الى سفك دماء المسلمين وتلف اموالهم . وحيث كان ذلك فلا يصح لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يوافقه على ذلك فضلا عن كون الدلائل الظاهرة تناقض دعواه المذكورة وقد نص اكابر الصوفية على الكشف اقسام وان بعضه يكون خياليا فكيف بالعمل به مع ايقاعه فى المحذور .

واعجب من ذلك ما نقل عنه بان من شك فى مهديته كفر فانه ان اراد بالكفر تغطية الحق بالباطل فان ذلك لايحصل الا اذا اتضحت له دلائل تصدقه فى دعواه والمكذب أو الشاك لم يجد دليلا يعارض تلك الدلائل فضلا عن ان جميع الادلة الظاهرة التى اطبق عليها المحققون مناقضة لدعواه المذكورة . وان اراد بالكفر الخروج عن الايمان فذلك لايقول به احد لان المهدية ليست بنبوة ولا رسالة وغايتها خلافه فانكار اصل المهدية والشك فيها لايوجب كفرا بمعنى الخروج عن الاسلام لما مال اليه بعض العلماء فى بعض طرق الحديث من قوله (صلعم) لايزداد الامر

الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة ولا على شرار الناس ولا مهدى الا مهدى بن مريم. وان أوّل هذا الحديث بعض العلماء بأن معناه لا مهدى معصوم الا عيسى أو لا مهدى على الاطلاق سواه يأتى بعده عيسى فضلا عن مهدية انسان مخصوص ادعاها فى زمن لم يقم دليل على حصولها فيه .

وحاصل الامر ان الامام الذى هو خليفة رســول الله (صلعم) موجود الآن بقيد الحياة ودولته منتظمة مؤيدة بوزرائه وجميع أهل الاسلام يخطبون باسمه فى [illegible]

أهل الدولة الصيانة لدمائهم واموالهـم فالخروج عن طاعته مع ان اوصافه التــى انعقدت بيعته عليها من أهل الحل والعقد باقية لم تزل عنه حرام على كل مســـلم وان الذى يخرج عن طاعته ويكون باغيــا ومحاربا لله ورسوله وســاعيا فى الارض بالفساد تجوز مقاتلته ورده عما هو عليــه واقامة حد الشريعة فيــه . فلاوجه الآن يجوز لكم معاشر المسلمين الخروج عــن طاعة امير المؤمنين واتباع الباغين المفسدين فان قابلتم ماقلته لكم بالامتثال وتركتــم سبيل الضلال فالله سبحانه وتعالى يعفــو عما سلف ويوفق الجميع لصالح الاعمال وان أبيتم الا ما انتــم عليه عاكفــــون فسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون.

هــذا والحمد لله اولا وآخـــرا والصلاة والسلام على من جاء بالحـــق المبين وعلى آله وصحبه اجمعين . كــــان الفراغ من تأليفها صبيحة يوم الجمعـــة المباركة لعشر ليال بقيت من شهر شعبان المكرم من شهور سنة ١٢٩٩ الف ومايتين وتسع وتسعين من هجرة اشرف المرسلين صــلى الله عليــه وعلى آله وصحبــه أجمعــين » اهـ

ملحق رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله الى أحبابه فى الله المؤمنين بالله وبكتابه اما بعد فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولا يرضى بذلك ذوو الايمان والفطن بل احق أن يترك لذلك الاوطار والوطن لاقامة الدين والسنن ولا يتوانى عن ذلك عاقل لكون غيرة الاسلام للمؤمن تجبره ثم احبابى كما اراد الله فى ازله وقضائه تفضل على عبده الحقير الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله واخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنى المهدى المنتظر وخلفنى عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مرارا بحضرة الخلفاء الاربعة والأقطاب والخضر عليه السلام وأيدنى الله تعالى بالملائكة المقربين وبالاولياء الاحياء والميتين من لدن آدم الى زماننا هذا وكذلك المؤمنين من الجن وفى ساعة الحرب يحضر معهم امام جيشى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بذاته الكريمة وكذلك الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام واعطانى سيف النصر من حضرته صلى الله عليه وسلم واعلمت انه لاينصر علىّ معه احد ولو كان الثقلين الانس والجن ثم اخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن الله جعل لك على المهدية علامة وهى الخال على خدى الايمن وكذلك جعل لى علامة أخرى تخرج راية من نور وتكون معى فى حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت الله بها اصحابى وينزل الرعب فى قلوب اعدائى فلا يلقانى احد بعداوة الا خذله الله ثم قال لى صلى الله عليه وسلم انك مخلوق من نور عنان قلبى فمن له سعادة صدق بأنى المهدى المنتظر ولكن الله جعل فى قلوب الذين يحبون الجاه والنفاق فلا يصدقون حرصا على جاههم قال صلى الله عليه وسلم حبّ المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وجاء فى الأثر اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم وجاء فى بعض كتبه القديمة لاتسأل عنى عالما

اسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتى فاولئك قطاع الطريق على عبادى ولما حصل لى يا احبابى من الله ورسوله امر الخلافة الكبرى امرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى ماسة بجبل قدير وأمرنى ان اكاتب بها جميع المكلفين امرا عاما فكاتبنا بذلك الامراء ومشايخ الدين فانكر الاشقياء وصدق الصديقون الذين لايبالون فيما لقوه من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتهى بل ناظرون الى وعده سبحانه وتعالى بقوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وحيث أن الامر لله والمهدية ارادها الله لعبده الفقير الحقير الذليل محمد المهدى بن عبد الله فيجب بذلك التصديق لارادة الله وقد اجتمع السلف والخلف فى تفويض العلم لله فعمله سبحانه لايتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين بل يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب قال تعالى ولايحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها الا هو ولايسئل عما يفعل ويخلق ما يشاء ويختار يختص برحمته من يشاء والله ذوا الفضل العظيم وقد قال الشيخ محيى الدين بن العربى فى تفسيره على القرآن العظيم علم المهدى كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة الا الله وقال الشيخ احمد بن ادريس كذبت فى المهدى اربعة عشر نسخة من نسخ أهل الله ثم قال يخرج من جهة لايعرفونها وعلى حال ينكرونها وهذا لايخفى علمكم ان التأليفات الواردة فى المهدى منها الآثار وكشف الاولياء وغير ذلك فيختلف كل منها كما علمتم من انه يمحوا الله مايشاء الآية ومنها الأحاديث فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح والصحيح ينسخ بعضه بعضا كما الآيات تنسخها الآيات وحقيقة ذلك على ما هى عليها لايعرفها الا أهل المشاهدة والبصائر هذا وقد اخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بان من شك فى مهديتك فقد كفر بالله ورسوله كررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وجميع ما أخبرتكم به من خلافتى على المهدية الخ فقد اخبرنى به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة فى حال الصحة خاليا من الموانع الشرعية لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون بل متصفا بصفات العقل اقفوا اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر فيما أمر به والنهى عما نهى عنه والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتابا وسنة قال تعالى يايها الذين آمنوا

استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لمـــايحييكم وقال صلى الله عليه وسلم مـــن فتر بدينه من ارض الى ارض وان كـــان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكـــان رفيق ابيه خليل الله ابراهيم ونبيه محمدعليهما الصلاة والسلام والى غير ذلـــك من الآيات والاحاديث واجابة داعى اللهقال تعالى واتبع سبيل من أناب التى فاذا فهمتم ذلك فقد امرنا جميع المكلفـــينبالهجرة الينا لاجل الجهاد فى سبيل الله أو الى اقرب بلد منكم لقوله تعالى قاتلواالذين يلونكم من الكفار فمن تخلف عن ذلك دخل فى وعيد قوله تعالى قل ان كانآباؤكم وابناؤكم الخ وقوله تعالى يايهـــا الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروافى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة الخ الآيتين فاذافهمتم ذلك فهلموا للجهـــاد فى ســـبيله ولاتخافوا من احد غير الله لان ذلـــكالخوف من غير الله يعدم الايمـــان بالله والعياذ بالله من ذلك قـــال تعالى فلاتخشوا الناس واخشون وقال تعالى والله أحق ان تخشوه لاسيما وقد وعد الله فىكتابه العزيز بنصر مـــن ينصر ديـــنه قال تعالى ان تنصروا الله ينصركـــم ويثبـــتاقدامكم وقال تعالى الا تنصروه فقـــد نصره الله وحيث ان لم تجيبوا داعى اللهوتبادروا لاقامة دين الله تلزمكم العقوبة عند الله تعالى لانكم ادلة الخلق وازمتهافمن كان مهتما بايمانه شفيقا بدينهحريصا على أمر ربه اجاب الدعوة واجتمع مع منينصر دينه وليكن معلومكم انى من نسل رسول الله صلى الله عليه وســـلم فابىحسنى من جهة ابيه وأمه وأمى كذلك من جهة امها وابوها عباسى والعلم لله ان لىنسبة الى الحسين وهـــذه المعانى تكفى لمن ادركه الله بالايمان فلا عبرة لمن يراهاولم يصدق بها هذا والسلام •

عـــرفان

يطوق عنــق كل داوس للتاريخ فى بلادنا دين مستحق للبروفسر مكى شبيكه تصدر به الرسالات الجامعية ويحلى بــه جيدها • ولقد كــان عونى ومــلاذى ومرشدى وانا أعد هذا الكتاب • وغمرنى بعناية تخجل الامتنان وليس عندى مــن مخرج غير ان ازجى له الثناء على سنــة عجز الشــاكرين عن التمــام • وكانــت لملاحظات الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم أثرها الطــيب عندى فجــزاه الله خــير الجــزاء •

وفى أمر اللغة ــ عربية وافرنجية ــ صبر وصابر ودقق الاستاذان سيد حامد حريز ومصطفى ابراهيم طه وقوما ما أعوج وفصّحا ما استــعجم ، بنبل أخــوى ، فلاجاء يوم شكرهما •

وعكف الأخ أحمــد عبد الرحيم نصر على المسودات يتعقب الخطأ ، ويرصــد زلل الطباعة ، ووجد عند اســرة مطبعــة التمدن حرصاً مماثلا ، فللجميع تقديــرى وعاطر تقريظى •

وختاما فهــذا كتابى بيدى احمــل تبعته كاملة وعلى الله اتكالى واليه انيب •

المصــــادر

١ ـ العـــــربية :

١ ـ ابن خلدون (١٩٥٨) : العبر وديوان المبتدأ والخبر . تحقيق على عبد الواحد وافى . الجزء الثانى ، الطبعة الاولى، لجنة البيان العربى .

٢ ـ محى الدين ابن العربى (١٢٩٣ هـ) :الفتوحات المكيه فى معرفة اسرار الملكية . الجزء الثالث . مصر .

٣ ـ اجناس جولد تسيهر (١٩٥٩) :العقيدة والشريعة فى الاسلام (الترجمة العربية) الطبعة الثانية . دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى .

٤ ـ حسن محمد الفاتح قريب الله (١٩٦٥) : التصوف فى السودان ـ رسالة مقدمة للحصول على الماجستير (جامعة الخرطوم).

٥ ـ حسين سيد احمد المفتى (١٩٥٩) :تطور نظام القضاء فى السودان (جزء اول) الطبعة الاولى ، مطبعة مصر .

٦ ـ سعد محمد حسن (١٩٥٣) : المهدية فى الاسلام ـ منذ اقدم العصور حتى اليوم، الطبعة الاولى ، مطابع دار الكتاب العربى .

٧ ـ الشاطر البصيلى (١٩٦١) : مخطوطة كتاب الشونة (تحقيق) ، دار احياء الكتب العربية .

(١٩٥٥) : معالم سودان وادى النيل (من القرن العاشر الى التاسع عشر الميلادى) . طبعة اولى . مطبعة ابو فاضل ، القاهرة .

٨ ـ نعوم شقير (١٩٠٣) : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته (ثلاثة اجزاء) القاهرة .

٩ ـ ضيف الله (١٩٣٠) : الطبقات فى خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان . نشر صديق، طبع المطبعة المحمودية التجارية بمصر .

١٠ ـ عبد العزيز امين عبد المجيد (١٩٤٩) : التربية فى السودان (ثلاثة اجزاء) ،طبع المطبعة الاميرية بالقاهرة .

١١ ـ عبد المجيد عابدين (بدون تاريخ) :دراسات سودانية ، مطبعة مصر الخرطوم .

١٢ ـ محمد ابراهيم ابو سليم (بدون تاريخ) : مفهوم الخلافة وولاية العهد فى المهدية . نشر دار المحفوظات المركزية .

١٣ ـ محمد ابو زهرة (بدون تاريخ) : المذاهب الاسلامية . مكتبة الآداب بالقاهرة .

١٤ ــ مكى شبيكه (١٩٦٤) : السودان عبر القرون . لجنة التاليف والترجمة والنشر.
مذكرات عن المهدى لم تطبع بعد ، الفصل الاول : نشاة محمد احمد وجوه الروحى المرحلة الاولى .
(١٩٤٧) تاريخ ملوك سنار (تحقيق) ، طبع ماكوركوديل الخرطوم .

١٥ ــ منشورات الامام المهدى (١٩٦٤) :الطبعة الثالثة (جزءان) صور وطبع فى المحفوظات المركزية ، وزارة الداخلية الخرطوم .

١٦ ــ يوسف ميخائيل (١٩٣٤) : مذكرات يوسف ميخائيل ــ تحقيق نقدى لمذكرات يوسف ميخائيل ــ صالح محمد نور (بالانجليزية) رسالة للدكتوراة لم تنشر ، جامعة لندن ١٩٦٢ .

ب ــ افرنجيــة :

1. Elles, R. J. (1935) : The Kingdom of Tegalli. *S. N. R.* Vol. XVIII.

2. Hill, R. (1963) : *Egypt in the Sudan.* 1821 — 1881. Oxford.

3. Holt, P. M. (1958) : *The Mahdist State in the Sudan, 1881 — 98.* Oxford.
(1963) : *A Modern History of the Sudan.* 2nd edition. London.

4. Trimingham, J. S. (1965) : *Islam in the Sudan.* 2nd. impression. London.

5. Vollers, K. (1913) : "Azhar" in *The Encyclopaedia of Islam.*
Vol. 1 p. 535.

By the virtue of their very existence as a previleged class that came out of the Turco-Egyptian cloak, the 'Ulema opposed the Mahdi. Over and above, the 'Ulema were driven into that conflict with the Mahdi by their academic learning which abhors the images of the Sufi teachings — the Mahdi's conception being an extreme one — and its theory of knowledge based on the *Kashf*. In their opposition the 'Ulema were at a disadvantage. Oppressed and illtreated as they were, the Sudanese Muslims were looking for a Mahdi to purify the faith and to govern with justice. The Sudanese Muslims were brought up under the *fagirs* guidances and thus familiar with the Sufi diction and visions rather than with the cold logic of the 'Ulema. The Mahdi won the day because he had been stirred by the misery of his people and appealed to their mind and soul in the language and imagery they cherished, concieved, and understood.

The Mahdi—'Ulema conflict constitutes a part of the overall struggle between the Muslim jurists and sufists. This movement could be best understood when it is put in this context.

RESUMÉ

This book deals with the war of propoganda that took place between Mohammad Ahmed al-Mahdi (1881 — 1885) and the 'Ulema of the Turco-Egyptian regime (1821 — 1881) when the issue of winning the people to either side of the conflict was a burning one. The conflict between the Mahdi and the 'Ulema — the subject of this book — is one aspect of the greater and wider conflict that took place between the Mahdi and the Turco-Egyptian regime and that led to the successful Mahdist Revolution of 1881 in the Sudan.

The term ('Ulema) is used throughout the book to designate those Sudanese and foreigners who had been to al-Azhar, thus conversant in Islamic jurisprudence and traditions, and who held posts in the Turco-Egyptian administration as *muftis*, judges, preachers, and teachers. In order to show the cultural aspect of the Mahdi-'Ulema conflict, we resorted to referring to the cases of certain 'Ulema who are not part of the administrative machinery. Other 'Ulema whose Azharite qualifications are not known to us, and who did not constitute a part of the Turco-Egyptian administration, though they were part of other kingdoms subject to that regime, were also referred to.

The Turco-Egyptian period witnessed the schism between the *fagirs* and 'Ulema's institutions, and the peaceful co-existence these institutions used to enjoy during the Fung Kingdom came to a drastic end. Under Governor Ga'ffar Pasha (1865 — 1871), Mumtaz and later Ismail Pasha, the donation system as well as the educational policy were oriented to serve the growth of the 'Ulema class so as to help the complete take over from the degenerating traditional *fagirs.*

As a Unit in the administrative set-up, the 'Ulema did their utmost to defend the Turco-Egyptian system. "The General Advice to the Muslim Community on the Disobedience to Rulers and Breaking off the Sultan's Allegience" by Ahmed al-Azhari and other extensive pamhleteering activity was carried out to falsify and refute the Mahdi's claims. When the Mahdists besieged Khartoum, the 'Ulema issued a *fatwa* giving the soldiers of Khartoum garrison licence to break the Ramadan fast. This licence was given under the pretext that the soldiers will perform their duties more efficiently when they break the fast. Koran was recited in the mosques to lift up the hearts of the people. Gordon utilized the 'Ulema in composing his replies to the warnings of the Mahdi and his commanders.

منشــورات شــعبةأبحــاث الســودان
جــامعة الخرطــوم

●

١ ـ الكراسات غير الدورية :

١ ـ الزخارف المعمــارية وتطورها فيمنطقة وادى حلفا .
بقلم : احمد محمد على الحاكم

٢ ـ الفونج والارض ـ وثائق تمليك :**تحقيق محمد ابراهيم ابو سليم**

٢ ـ التراث السودانى :

١ ـ الشيخ ابراهيم التليب التجانى
ـ حياته وشعره . **تاليف : الشيخ الطيب بابكر**

٢ ـ ديوان التليب . **أعداد : الشيخ الطيب بابكر**

تحت الطبع :

١ ـ الأدب الشعبى لقبيلة الرباطاب.

٢ ـ مجلة الدراسات السودانية . **تحرير : عون الشريف قاسم**

٣ ـ كتب المطالعة الاولية فيالسودان:**اعداد موفق الحمدانى وعون الشريف قاسم**

African Studies Seminar

1 — The Khasm el Girba Scheme ... ... R. F. Wynn
2 — A Nigerian Approach to Politics ... ... O. Aguda

Linguistic Monograph Series

1 — A Grammar of the Fur Language ... ... A. C. Beaton

Forthcoming

1 — The Verbal System in a Dialect of Nubian ... ... A. Ayyub
2 — The False Prophet ... ... Guiseppe Cuzzi